

روايات مصرية للحبيب
رجل المستحيل

القضبان الحديدية



العدد القادم: حبيب الثلج



أديل مبروف
**رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للمستأجر
زاهية
بالأشهاد
المشيرة**

٤٥

العدد القادم: حبيب الثلج

القضبان الحديدية

- عن التبت حياء ، أدهم صوري ، في
- محفل ، صوبها ، ، والتي عكف في
- القنوت القوية ؟
- نانا حياول ، أدهم صوري ، القنوت -
- بعد أن كان قد استلم لنا القوية ؟
- لوي ، المصحح ، أدهم صوري ، في
- القرب ، والحرق القنوت ، صوبها ،
- القوية ؟
- القنوت القوية القوية ، لوي كيف يعمل
- (رجل المستحيل)



العدد القادم: حبيب الثلج

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجهد رجل واحد في سن (أدعم صوى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدعم صوى) خلق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة للقب (رجل المستحيل) -

د. نبيل فاروق

١ - وجاء الربيع ..

وقف مدير المخابرات العامة المصرية ، يتطلع من خلف نافذة مكتبه الزجاجية الكبيرة ، إلى مساحة مبنى المخابرات ، التي بدت عادلة ، لا توحى بذلك الحضم من النشاط ، الذي نموج به إدارة المخابرات العامة ، وتركز بصره في شروق ، على عصفور صغير ، اهبط في بناء عتبه ، فوق غصن شجرة قريبة ، وسط جز الربيع الجميل في مصر -

كانت الأزهار قد انفتحت في كل مكان ، وبدأ الطقس مثيراً للبهجة ، إلا أن ملاح مدير المخابرات لم تكن توحى إلا بالحرارة ، والشرود -

لم يتحرك من وقته الثابتة ، ولم تفقد عيناه شرودها ، عندما دخل القلم (حازم عبد الله) إلى حجرته ، وتصحح لئنه إلى وجوده ، فاكتمل مدير المخابرات بأن قال في هدوءه :

... هل من جديد يا (حازم) ؟

أجابه (حازم) :

— كل رجالنا في (موسكو) يعملون جاهدين . منذ ثلاثة
شهور كاملة ، دون أن يُضيفوا معلومة جديدة عن احتشاء
(أدعم صبرى) (٢٦) .

عصم مدير المخابرات :

— ثلاثة شهور كاملة !!

أطرق (حازم) في أسف ، وقال :

— يبدو أننا قلدنا (رجل المستحيل) يا سيدي .

عصم مدير المخابرات :

— والطيب (منى توفيق) أيضا يا (حازم) .

تهَّد (حازم) ، وقال :

— مصرخ (منى) مؤكد يا سيدي ... فلقد رأينا

العشرات مضرجة في دماها ، وسط تلوخ (موسكو) ، ولقد

سقطت من الطابق الثالث و ...

فأطعه مدير المخابرات في حلق :

— ولكنني أشعر أن (أدعم) مازال على قيد الحياة .

سأد الصمت لحظة ، ثم قال (حازم) في بظء :

* (راجع الجزء الأول من قصة (العين الثالثة) - القاموس رقم (٤٤) .

— لو أنه كذلك ، فسبحي هذا أنه في مكان ، هو قبر من
الطلع ، والموت أفضل من الحياة فيه .

عقد مدير المخابرات حاجبه ، وعصم في قلق :

— هل تعنى ... ؟

لم يم عيارته ، وبما هو الفكرة ، ولكن (حازم) تابع قائلا :

— نعم يا سيدي ... في معتقل ... (سيبيا) ، أكثر

معتقلات العالم هولاء .

سأد صمت لثقل بينهما ، بعد هذا التصريح القوي ، ثم

عصم مدير المخابرات في تولر :

— لو أنهم أرسلوا (أدعم) إلى هناك ، فكل ما أحتاجه لك

هو الموت .

• • •



٢ - حيث لا تشرق الشمس ..

المكان : (ميسينا) .. (١)

الزمان : الحادي والعشرون من مارس ، والمعروف في العالم
أجح باسم (عيد الربيع) ..

الرجل : شاب في النصف الثالث من الثلاثينات ، طويل
القامة ، عيون العضلات ، أبيض البشرة ، إزداد جسمه
تحولاً ، عن مظهره في بنابر السابق ، وبرزت عظام وجهه ، لتعطي
الكثير من وسامته الساطقة ، على حين ترك شعره الأسود الناعم
يستدل على حبه بلا نظام ، ولدت لحبه ، على نحو يوحي بأنه
لا يملكها إلا كل عشرة أيام على الأقل ، وبذت لياحه رنة ،
متناككة ، على الرغم من برودة الجو من حوله

* (ميسينا) : الاسم التاسع لعظيم الجزء الأسيوي من
(روسيا) ، ١٢٧٥٣٤١٩ كم^٢ ، وتند من شمال الأزل حتى
البحر القادي ، ومن المحيط القطبي حتى مدينا وستونيا ، بها حوض
البحر القادي (كورالستك) ، وجزيرة (بيكال) ، وشبه جزيرة
(تشكوتكا) .

تؤلف

المهمة : صباط مائق بالغازات العامة المصهية ، يدعى
(أدغم صبرى) ، كان يعرف قديماً بالسلب (رحيل
المسحبل) .

لم يند (أدغم صبرى) كما عرفناه سابقاً ..

لم يند نطل من عينه تلك النظرة المتألمة ، التي تعبر حاسة
وإنشأ

أصبح رجلاً آخر ..

رجلاً استسلم لشعر أسود مظلم ، في أكثر المعضلات
هولاً ..

في هذه اللحظة ، التي نشأ فيها قصتنا ، كان يستند بظهره
إلى حذو شجرة قديمة ، وهو يمسك بين راحتيه وعاء من الحرف
القديم ، يحتوي على حساء له رائحة نقالة مقررة ، وإلى جواره
استقر رفيف من غير كاد سواده يعطي على يافته ..

كان يتناول وجبة الطعام اليومية ، بعد غسل يوم كامل
الغرب منه رجل بالغ التحول ، وجلس إلى جواره ، وقال
وهو يشتم قطعة من الخبز ، ويلونها في فمه بلا شهية :

— هل يعجبك مديونا هذا يا صباط الغازات المصري ؟

بدا جواب (أدغم) بارداً كالثلج ، وهو يقول :

— هذا لدينا .

ظهر الغضب على وجه الرجل الآخر ، وقال في حق :
— لدينا ١٢ . لقد جلبت أنت هذا النصر ، بإصرارك على
مطاردة إلى (موسكو) .

ارتفعت أصواته شاحبة على شفاه (أدغم) ، وألقى
عبه ، وهو يستعيد كل ما حدث منذ أسدت إليه الأبواب
الغربية مهمة إعادة (أندريه جريج) ، جاسوس منظمة
(سكوربيون) ، من (موسكو) إلى القاهرة .

لقد بدأت المهمة شاقة منذ البداية . فقد وصل وزميله
السابق (مي توليق) إلى (موسكو) في الأيام الأخيرة من
ديسمبر ، حيث تخلف في درجة العودة إلى ثلاثين تحت
الضفر ، وحاولا إعادة (أندريه) ، ولكن (باكوف) ، مدير
مكتب مكافحة التحسس السوفيتي ، كتشف أمرهما بحسن
الصداقة ، وبدأ بتسليح الحقائق حولهما ، وحول (أندريه جريج)
أيضا .

لتذكّر (أدغم) كيف أخذ لهما (باكوف) قلما ، بمعاونة
(أندريه) ، الذي كان يحاول الإفلات ، بمعاونة السلطات
السوفيتية .



كان يستند ظهره إلى جذع شجرة قديمة ، وهو يعمل بين راحته
وعلى من الطرف القديم يعبر على حسنة له والحة ثقافة .

سأل حزن عميق إلى قلبه ، حينما استعادت ذاكرته موافقة
(حس) على الزواج منه ، ثم مصرعها في ذلك الصبح ، برصاص
الجود السوفيت ، واعتقاله ، ونقله إلى (سجنيا) ..

ثلاثة شهور معت ، وهو مستسلم تماما لمصوه ، وكأنه
يعاقب نفسه على استمراره في أداء المهمة ، بعد أن وصله الأمر
بإيقاظها من القاهرة ..

كان بعد نفسه مستولا عن مصرع (حس) ، بعد أن لبثت
حفظها في شجرة عذابه ، وإصراره على القوز في مهمة مغفلة ..
وهامو ذا الآن ، وبعد ثلاثة شهور ، يجلس حشا إلى
حس ، مع نفس الجاسوس ، الذي كان يهدف إلى استعادته ..
ثم بعد هناك لفرق ..

أفاق من ذكرياته على صوت (أندريه جريج) ، وهو يقول
في خفق بالغ :

— نعم .. أنت المسئول عن كل هذا العذاب ، الذي لاقته هنا ..
أشاح (أندهم) بوجهه في برود ، على حين استنسرد
(أندريه) ، في غضب :

— أنت وعشاقك السخيف .. أنت وعديفتك الحفياء ..
عد هذه الفتاة ، وعندما ذكر (أندريه) (حس) ، ونعنا
بالحمالة ، لبثت قصة (أندهم) في سرعة ، وهوت على ألف

(أندريه) ، الذي ترويح ، والسكب وعناء الحساء البارد من يده
وتساقطت من أنفه بضع قطرات من الدم ، وهتف في ألم :

— بالك من وحش !! لقد حطمت أنفى !!

انفصل أحد المعتقلين عن رفاقه ، وأسرع إلى حيث يجلس
(أندهم) و (أندريه) ، وأسرع يلمح أنف هذا الأخير ..
من العجب أن تقول إن هذا الرجل الثالث كان لهيلا ، فكل ترولاء
يعطل سجنيا يتميزون بالشجول الشديد ، باستثناء هؤلاء الذين
وصلوا لولا .. ولكن الرجل كان أشد لهولا من المعتدل العليلي ،
وكان يرتدى ثيابا مظلمة طين ، عذله فوق أنفه وهو يقول :

— اطمئن يا ربيطى .. مستضع بعض الفروج على الجرح و—
قائمه (أندريه) في خفق :

— اتعد أيها الطبيب الفاضل ..
تراجع الطبيب المسكين في صغار ، على حين ساكسه
(أندهم) بالرومية :

— آلت طبيب حقا ؟
نظر إليه الرجل في حذر ، وعغمم :

— عجب .. إنك تصحذت الرومية بألفاظ شديد ، كماذا
يقولون إنك صابط محاربات مصري إذن ؟
انسم (أندهم) في شحوب ، وقال :

— ذقهم بلولون ما يخلو ثم يا صديقي .

هز الرجل رأسه في خيرة ، وغمغم :

— نعم أنا طبيب حقيقي ، ولقد كنت واحداً من أشهر

المراحين في مستشفى (موسكو) ، ولكنني نزلت إلى هنا ،

حيث لا تشرق الشمس ، يوم السابع من يناير الماضي .

غمغم (أدهم) ، وهو يستد رأسه إلى جذع الشجرة .

— منذ ثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوماً إنان .

نظف إليه الرجل في دهشة ، وقال :

— لست أفهم كيف أمكنك إحصاء المدة ، ولكن هذا صحيح

عاد (أدهم) بسأله :

— وهل يعطل السوفيت أطباءهم الآن ؟

مطّ الطبيب شفتيه في أنفي ، وقال :

— هذا لا يحدث في العادة ، ولكنكم اعطلوني بسبب

عملية جراحية ناجحة ، كنت أظن أنني سأحصل على وسام

الجدارة بعدها .

عقد (أدهم) حاجبه ، وسأله في خيرة :

— عملية جراحية ؟

أومأ الرجل برأسه إنكافاً ، وقال :

— نعم يا صديقي . عملية جراحية ، أفسدت بها

بعمرة ، ففأ مصيبة ، شقت تسع عشرة طفلة نائمة في

جسدها ، عشية عيد الميلاد و —

بر الطبيب عبارته فحاشاً ، وهو يرتجف ، فقد تألق في عيني

(أدهم) برهق عجب ، واستطعت ملاحظته كلها ، وهو يلفظ إلى

الطبيب ، صائخاً في الفعال عجب :

— ففأ مصيبة ؟؟ .. عشية عيد الميلاد ؟؟ .. ما سميتها

يا رجل ؟

تراجع الطبيب التحل في ذعر ، وهتف :

— لست أفهم .. أقم لك

هتف (أدهم) ، وقد ازداد تألق عينيه ، وبلغ الفعالة

ذريته :

— صف إصاباتها إنان ، وأخبرني ما آل إليه أمرها .

ازدد الطبيب لعابه في حرج ، وقال :

— لقد أصيبت — كما أخبرت — تسع عشرة طفلة

ناحية ، وسلطت من الدور التالي ، و —

بهذج صوت (أدهم) وهو يلفظ طعنه :

— هل شفتي ؟؟ .. أصي أم تفارق الحياة ؟

عزل الطبيب وضع منظاره الطبي لثباتك ، وقال :

— المفروض أنها كذلك .. فقد اعطيتى السلطات بعد
 أن استعادت وعيا و ...
 عاد (أدهم) بطاعته ؛
 — ماذا اعطيتك السلطات ؟
 تلقت الطيب حوله في قتل ، ثم حس ..
 — يبدو أنهم كانوا يريدون الاحتفاظ بأمر القتل سرا .. فقد
 اعطوا كل فريق العلاج و ...
 فاطمة تهتد بصيلة من أعماق (أدهم) هذه المرة ..
 عادت ثورة الحماس والكفوة إلى نفس (رجل المستحيل) ،
 فور معرفته بنجاح (مى) ..
 ولكن هذه المعرفة أعادت إليه صلاته ، وعاده السابق ..
 وأضاء أمانه هدف ، لما في عروقه بسرعة عجية ..
 كان على (رجل المستحيل) أن يظهر التحسب مرة
 أخرى ..
 كان عليه أن يتخذ من القضبان الحديدية ..
 من (سيجيا) .

• • •

٣ — المستحيل ..

أشعل الرقيق (إيفانوف) واحدة من سجارته السوفيتية ،
 ذات الرائحة الفاتحة ، وأخذ يفت ذماتها في بظه وهدوء ،
 وهو يتطلع إلى رفيقه (ياكوف) ، الذى انهك في مقلعة
 بعض تقارير الصلّت ، لم لم يلبث أن سأله :
 — ألم لذل القنلة الصربية بأقولها بعد ، أيها الرقيق الخنزير ؟
 رفع (ياكوف) عيه إليه ، وأزاح التقارير جانبا ، وقال في
 صوت يشف عن صيلته :
 — إنها لم تسعد ذاكرتها بعد أيها الرقيق ، هذا ما يقوله أطباء
 الإدارة ..
 عاد (إيفانوف) يفت ذمات سجارته في بظه ، وقال :
 — لقد قامت الشهور الأربعة ..
 لوما (ياكوف) برأسه موافقا ، وقال :
 — هذا صحيح .. ولكنها حتى الآن لا تعرف من هي ..
 وما سب قدومها إلى هنا .

عقد (إيلانوف) حاجيه ، وشعير .

— وما كانت تظاير بذلك .

هو (ياكوف) رأس غلبا . وقال :

— لا . ولكن الضميمة النفسية التي تعرضت لها
وأصابها الباطل ، ممت من عقلها كل ما يتعلق بالحدوث .

عاد (إيلانوف) يسحب أفئس سبحانه . وسط الضممت
الذي ساد بينهما لحظة ، والذي قطعته هو قائل :

— ولكن لماذا أخفيت عن شفاتها أيها الرقيب الجبرال ؟

صمت (ياكوف) ، وشرذ بصيرة بعيدا ، وكأنه يستعيد
ذكرى قديمة . ثم عاد ينظر إلى (إيلانوف) ، قائل :

— من الأفضل أن ترسم الخابرات النفسية بمصرعها ،
وتصرع زميلها الشيطان . حتى لا تبدأ مقارنات السبايسين
لاستعادتهما ، قبل أن تستكمل معلوماتنا منها .

اسم (إيلانوف) . وقال :

— وهل تعتقد أن زميلها سيُقبل بما لديه ؟

اسم (ياكوف) بدوره . وهو يبأ رأسه غلبا . ثم قال :

— إنه أكثر صلاحية من أن يفعل . ولقد تصورت في البداية
أنه سيمجد إلى محاولة الحرب من (سيبيا) . ولكن يبدو أنه
استسلم تماما لظنونه هناك .

ارتفعت ابسامة مسخرة على شفاس (إيلانوف) . وقال :

— الحرب من (سيبيا) ٢٢ . لأنه أن يكون مهيئا لحما .

حتى تحظر هذه الفكرة الخمقاء برأس .

اسم (ياكوف) . وقال :

— كل العطين هناك تراودهم هذه الفكرة في البداية . ثم

تتبار مع كل يوم يترجم . . . إن (سيبيا) هي مقبرة أعداء

الظلم يا رئيس . إنها النهاية لهم .

استيقظ (أندريه جريج) على هزات خفيفة لكعبه . وهو

يرقد وسط عشرة من العطين . في زمرته الباردة . ولم يكن

يفتح عينيه ، حتى ارتجف حسده . وندت من حلقه شهقة

دهشة . وهو يتطلع في الضوء الخافت ، إلى الرجل الذي

أيقظته . واعتدل جالسا ، وهو يهتف في صوت خافت :

— كيف وصلت إلى هنا ٢٢ . كيف تجاوزت كل هؤلاء

الحراس ؟

أجاب (أندريه صيرى) في هدوء . لا يتخلو من السخرية :

— لقد استغرقت في اليوم . بعد مجهود اليوم الثاني .

صلىس إيهو سبحانه مثلا .

هل (أنديه) يطلع إليه في دهشة . ثم سأله في حسر .
— وماذا تريد مني ؟

أجاب (أدهم) في هدوء .

— سترافقي في رحلة الغروب من هنا .

اتسعت عينا (أنديه) عن آخرهما . وهتف في ذهول .

— أراظقت ١٢... هل بلغ بك الجنون ... ؟

فأشبهه (أدهم) بإشارة من يده . وعاد يلهو في حزم .
وعيناه تالفتان في صرامة .

— سترافقي أيها الوغد . فسأعود بك إلى القاهرة . سواء
رغبت أم أبيت .

هتف (أنديه) في صوت حافت حائق .

— إلى القاهرة ١٢... هل تظن أنك ستفادر هذه القصران
الجلدية هكذا ؟ هل تعلم ماذا سواجه إذا ما حاولنا الحرب ؟

أجاب (أدهم) في برود .

— سواجه أحوالاً لا حصر لها . ولكنها أفضل بكثير من هذه
الحياة التي نجهاها هنا .

عقد (أنديه) حاجبيه . وقال في صرامة .

— لن أراظقت . فأنا لا أبعثل الموت .

بدا صوت (أدهم) كالقولا لا اليا رب . وهو يلهو في صرامة .
— إنني لا أستحك حق الاحتياز أيها الوغد . سترافقي
لو أظقت هنا .

ارتجف جسد (أنديه) . وبدت العنزة والدعرج في كل هذا
من وجهه . ثم لم يلبث أن غشم في حلق .

— ومنى تفكر في الفرار ؟

أجاب (أدهم) في هدوء .

— القيلة .

صرخ الدهول في وجه (أنديه) . واحبس صوته وهو
يهدق في وجه (أدهم) . ثم لم يلبث أن قال بصوت متعرج .

— أنت تسعى للمستحيل أيها الشيطان العفري . هل

تسعى للمستحيل !!

لتعمل الخيال (بودسكي) في فرائده يفتل هذه القيلة .
فصل الزمزم من أنه قائد معسكر الاعتقال في (سيبيا) . وعلى

الرغم من كل المميزات التي يتبعها بحكم منصبه . كالسكن
الأيمن التكيف الهواء . والفرش الدائق اللون . والطعام اللذيذ .

والشراب المعش القليل . إلا أنه كان يشعر دوماً أنه سجين في

العقل . فهو لا يحصل إلا على حصة أهام فقط كإحارة كل
شهرين . حتى أن ارتشاه بمرته مات ضعيفا واعيا .
كان يعال في هذه الليلة أيضا شديدا . وحسنا فخص به
حلته . فنهض من فراشه . وأشعل إحدى سجارته . وأخذ
يفت دحانها في ظلام الخجرة .

ولمحا . فحك إليه أن تبارا بارذا قد صبت على ظهره . من
نافذة خجرت . فاستدار إليها في دهشة . ولم يكن يفعل . حتى
تلذت أطرافه . وسقطت سجارته من بين يديه . وسقطت
فكته السفلى . وهو يتطلع في دهول إلى شبح رجل طويل القامة .
وقوف هادئا . عاكفا ساعديه أمام صدره . وقد أغمى ظلام
الخجرة ملامحه تماما .

هفت الخمرال (بودسكى) بصوت مسجوح مضطرب . فقتل
في صنعه بالصراخ اللائمة :

— من هنا ؟

القرب منه الشبح في بظء وهو يتولى بالروسية :

— الرقيق (باكوف) . من إدارة مكافعة التحسب أيا
الرقيق الخمرال .

ازداد التساع عبا (بودسكى) . وهو يتعمم :

— (باكوف) ١١ . كيف وصلت إلى هنا ؟ وكيف ...
بمر عبارته فجأة . عندما وقع بصدرة على وجه الرجل . الذي
سقطت لوفه بقعة صغيرة من الصبوة . وتصلت كف
(بودسكى) على مسند مقعده . وهو يتف في دعر .
— إنك لست ...

قبل أن يتم عبارته . هويت على فكته لكلمة ذات بأس . ألقه
من فوق مقعده . وحاول هو أن ينهض بحسبه الدين . ولكن
الرجل انحنى لوفه . وقال في لغة ساحرة :

— هل تعرفين أيا الرقيق الخمرال ؟

شراء ما في عيني (أدهم صوى) . اللين كخندان بين الصرامة
والسحرية . أثار رجفة في جسد الخمرال السوفيتي الدين .

لقد عرف ملاح (أدهم) فوراً . وتلذذ ما فسه عليه
(باكوف) من قدراته الشيطانية . أحسب إلى ذلك حالة الدهول
والفاحشة . اللين اتانابه . حيناً رأى (أدهم) في سحرته
الخاصة . كل هذا حطه بشعر بحرف عميق . وهو يتعمم :

— ماذا تريد أيا المصري ؟

سأله (أدهم) في هدوء :

— كلمة سر القبل .

قال (بودسكى) فى عناد :

— لن تعرفها ولو قتلتى .

ازدادت ابتسامه (أدهم) سخريةً ، وأحاط عنق الجنرال
البدن براحيه ، ثم ضغطه فى قوة ، وهو يقول فى هدوء :

— هل تقترح ذلك ؟

حفظت عينا الجنرال (بودسكى) ، وهو يحاول المقاومة ،
ولكن ساق (أدهم) كانتا تمنعان ذراعيه من الحركة ، وكفى
(أدهم) بضغطان عنقه فى قوة ، حتى كاد يلفظ أنفاسه
الأخيرة ، فغمغم فى صوت مخنق متحرج :

— حسنا .. سأخبرك

خفف (أدهم) من ضغط كفيه لحظة ، وسأل الجنرال فى هدوء :

— ما هى ؟

أجابته الجنرال ، وهو يملأ صدره بالفؤاد :

— إنها (جليد) ..

اتسعت ابتسامه (أدهم) ، وهو يقول :

— شكراً أيها الرفيق الجنرال .. هذا كل ما أحتاج إليه منك .

ثم هوت قبضته فى قوة على فك (بودسكى) ، فأرسلته فى

نوم عميق .



قبل أن يتم عبارته ، هوت على فكه لكمة ذات بأس ،
ألقته من فوق مقعده ..

٤ — الجليد ينهمر ..

لم يدر الجنرال (بودسكى) كم مرّة عليه من الوقت في غيبوته ، ولكنه حينما فتح عينيه ، وجد نفسه مقيداً في قوّة فوق فراشه ، ومكتم الفم ، وحاول عبثاً التخلص من قيوده ، ولكنه فشل ، وبينما كان يحاول ، سمع صوتاً ساخراً يقول :

— هل استعدت وعيك أيها الرقيق الجنرال ؟

استدار (بودسكى) إلى مصدر الصوت في ذهول ..

لم تكن الكلمات هي معث ذهره ، ولكنه الصوت ذاته .. لقد لحى إليه أنه يستمع إلى صوته هو نفسه ..

وتطلع في ذهول إلى الرجل الواقف أمام مرآة حجرته ، يعدّل من وضع قبعة الرسمية فوق رأسه ..

لوهلة ظن أنه يتطلّع إلى نفسه ، بجسده البدين ، ووجهه المنطبخ ، وحُفنه الرسمية ، التي تحصل عدداً لا بأس به من الأوسمة ، ولكنه لم يلبث أن انتبه إلى اختلاف ملامح الرجل الواقف أمام المرآة ، عن ملامحه هو ..

اختلاف طفيف ، لا يكاد يكون ملحوظاً وسط ضوء الحجره الخافت ..

حاول أن ينطق في دهشة ، ولكن الكمامة فوق فمه منعه من ذلك ، ورأى (أدهم) يستدير إليه ، قائلاً في هدوء :

— لقد استعرت كل وسادات فراشك .. حتى يمكنكى ملء حُفنتك الواسعة ، أيها الرقيق الجنرال .. ولقد تعبت كثيراً ، في الحصول على ما يلزم لتكرى ، حتى أنتى اضطرت لاستخدام بعض زجاجات الفودكا ، والموفد ، وكل ماهو مصنوع من البلاستيك في حجرتك و ..

ثم بر عبارته ، وابسم وهو يتابع في تهكم :

— سيذهب رجال الـ (كى - جى - ن) (*) بسرعة أيها الرقيق الجنرال .. فهكذا نعمل جميعاً ، حينما نقشر إلى أدوات التكر التقليدية

عاد الجنرال (بودسكى) يحاول عبثاً التخلص من قيوده ، على حين أردف (أدهم) في هدوء :

(*) الـ (كى - جى - ن) : القنارات السوفيتية .

— والآمن .. وداعاً أيها الرفيق الجنرال .. فلا أظن أننا
سنلتقي مرة أخرى ، فيما أن أتمجح في اجساز قضبانكم
الجليدية ، أو أنظر إلى عالم بلا قضبان
بدا هادئاً ، على عكس ما تحمله كلماته من معان ، ثم
أردف وهو يستدير إلى باب الحجرة :
— وداعاً يا جنرال .

وأي هدوء وثقة ، فتح (أدهم) باب حجرة الجنرال
(بودسكي) ، الذي سمع صوت أقدام جنديي الحراسة ، وهي
ترنظم بالأرض احتزاماً ، قبل أن يغلق (أدهم) باب الحجرة
خلفه .

انتصب جنديا الحراسة في احترام ، فور رؤيتهما (أدهم) في
لوب قائلهما ، وقال أحدهما في اهتمام :
— هل نصحبت أيها الرفيق الجنرال ؟
أجاب (أدهم) ، مقلداً صوت الجنرال ، في براعة منقطعة
النظر :
— لا سأقوم بحولة في للعسكر فحسب
ثم ابتعد في خطوات سريعة عن الخارسين ، اللذين تبادلوا

نظرات الدهشة ، إزاء هذا التصرف غير المفهوم ، الذي أقدم
عليه الجنرال لأول مرة .. أما (أدهم) ، فقد هبط إلى أرض
المعسكر ، وهو يخفي وجهه بإحدى معطفه ، كما لو كان يخشى
البرد ، ويسدل قبعة الرماية على نصف وجهه العلوي .. وأنه
من فوراً إلى حجرات المعتقلين ، ولم يكذب جنود الحراسة الأربعة
بلمحون الجسد البدين ، والأوصحة التي تغطي صدر الخلفة
الرماية ، حتى ضربت أقدامهم الأرض في قوة ، وارتفعت
أسلحتهم إلى صدورهم ، عدا أدهم ، الذي صوّب سلاحه
إلى صاحب الجسد البدين ، وصاح بما تقتضيه الأوامر :

— كلمة سرّ الليل !؟

وأصل (أدهم) تقلعه ، وهو يقول في لغة وصرامة ، مقلداً
صوت الجنرال (بودسكي) :

— (جليد) .. أفسحوا الطريق .

ولكن أحداً من الجنود الأربعة لم يتحرك قيد أنملة ، بل
تولّرت أصابعهم فوق مقابض أسلحتهم ، وانعقدت حواجبهم ،
وهم يحدقون في وجه (أدهم) ، ثم تحركت أيديهم بسرعة ،
لترتجبه فبهات مدافعهم الرشاشة إليه ، وهتف أحدهم :
— خطأ .. أنت لست الرفيق الجنرال (بودسكي) .

في اللحظة التي تذلت فيها ملاح الجنود الأربعة ، أدرك
(أدهم) أن الجنرال (بودسكى) قد خدعه .. ومع آخر
حروف كلمات الجندي الأخير ، استعاد (أدهم) قدرته على
القتال الحافظ ..

وفجأة .. انقض على الجنود الأربعة كالصاعقة ..
سقط الجندي الأول محطّم الفك ، وهوى الثاني بأنف
مهشّم ، في حين فقد الثالث وعيه إثر لكمة صاعقة ، وتحاشى
الرابع ركلة من قدم (أدهم) ، ولكنه لم ينجح في الإفلات من
لكمة أصابت فكّه بسرعة البرق ، فلتحق بزملائه الثلاثة .

تحرك (أدهم) في سرعة وحفّة ، فنقل الجنود الأربعة إلى ركن
مظلم ، ثم التقط مدفع أحدهم الرشاش ، وساعده اسراع متيرة
الجنرال ، على إخفاء المدفع الرشاش في طيات ثيابه ، ثم أسرع
يهبط إلى حيث زنانات المعتقلين ..

كان هناك ثلاثة جنود بحرسون المقر ، الذي انتشرت فيه
الزنانات ، ولقد هُوا جميعاً في احترام ، حيناً وقع بصرهم عليه ،
وعقد هو كفيه خلف ظهره ، والقرب من أحدهم ، وقال في
صرامة ، وكأنه يخبره :

— كلمة سِرّ الليل .

— (لوج) أيها الرفيق الجنرال .

عطّ (أدهم) شفطه ، وتظاهر بالغضب وهو يقول :

— ليس من المفروض أن تحترق بها أيها الرفيق الجندي ، بل
من المفروض أن تسألني أنت عنها .

شحب وجه الجندي ، وهو يعلم في خوف :

— هذا صحيح أيها الرفيق الجنرال .. لقد أعطت ..

هتف (أدهم) في سخط مقنع :

— أعطت ١٢ .. لقد ارتكبت جريمة أيها الرفيق الجندي .

امتصت وجوه الجنود الثلاثة ، وهم يتوقّعون عقاباً صارماً ،

ولكن (أدهم) نصب قامته ، وقال في صرامة :

— أحضروا لي المعتقل (أندريه جريج) من الزنانة ولهم

تسعين .

أسرع الجنود بمحضرون (أندريه) ، الذي اتعت عيناه

ذهولاً ، حيناً تعسّف (أدهم) ، في خلسة الجنرال

(بودسكى) ، ولكنه لاذ بالصمت ، ووقف إلى جواره منكسّ

الرأس ، على حين قال (أدهم) :

— سأصحبه معي .

أجاب أحد الجنود ، وهو يشكر مقدّم (أندريه) ، الذي

أنسى الجنرال خطاه :

— كما تشاء أيها الرفيق الجنرال .

تحرك (أدهم) في عطرسة إلى الخارج ، وهو يقول :

— اتحنى أيها المعتقل .

تبعه (أندريه) في حبل .. ولم يكذب يشعر بابتعاده عن

الحراس الثلاثة ، حتى هس في تولر :

— كيف أمكنك ...؟

فاطحه (أدهم) في صرامة :

— الزم الصمت .

ثم أردف في برود :

— ستجد أربعة جنود فافدى الوعى في الخارج ، اتقى ثوب

أقربهم حجمًا لك ، وأرتده ، فسفادر هذا المكان الكتيب على

القرور

تحركت بقع الضوء الكاشفة في أرجاء معسكر الاعتقال ،

على نسق ثابت ، وتكررت إحداها فوق (أدهم) ، (وأندريه)

الذى يتبعه في خطوات مرتبكة ، مرتدبًا زى أحد الجنود

السوفيت ، ثم تبعتهما البقعة الضوئية ، وهما يتحركان نحو بوابة

المعسكر ، وكان الجندي المكلف بها يحاول التأكد من شخصية

الجنرال وتابعه ، أو كأن الدهشة تساوره ، بسبب خروج قائد

العسكر في مثل هذا الوقت من الليل ، حتى أن (أندريه)

غمغم في تولر وحقق :

— يبدو أنهم قد كشفوا أمرنا .

اتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— حنة أيها الغبي .. إنه نوع من الاحترام للقائد .. إنهم

يضيئون له الطريق .

غمغم (أندريه) في حقق :

— ومن يدريك ؟ .. ربما كانوا يضيئون المهدف ، قبل أن

يطلقوا عليه النار .

قال (أدهم) في صرامة :

— الزم الصمت أيها الوغد .

أطلق (أندريه) شفبه ، وأخذ يهمهم بكلمات ساخطة ،

على حين تقلم (أدهم) من حارسى بوابة المعسكر ، اللذين

هضا في أن واحد :

— قف .. كلمة سرّ الليل .

أطلق (أدهم) من بين شفبه وبجرة غاضبة ، مقلدًا أسلوب

الجنرال (بودسكى) ، وقال في لهجة بدت للجنسدين

ساخطة :

— (للوح) أيها العيان .. ألا تعرفان قائدك ؟

انصب الخنديان في احترام ، وإن لم تخف ملامحهما
دهشتما من رغبة قائدهما في الخروج في مثل هذا الوقت من
الليل ، وأشاح (أدهم) عنهما بوجهه ، وهو يقول في زمرة
ساحطة :

— أين سائق السيارة اللعين ؟

أسرع أحد الخنديين يستدعي السائق ، الذي جاء
مهرولاً ، مقاوماً لغامه ، وهو يتساءل بدووه عن سر رغبة
القائد في الخروج .. ولكنه أدار محرك السيارة ، وأخذ يتأهب
داخلها وهو ينظر سخونة المحرك ، دون أن يدري أن درجة
حرارة (أندره جريج) ، قد اقتربت من درجة الاشتعال ، وأنه
تحت أول ضغط مباشر سينهار ، أو يسقط كل شيء ، كالجليد
المثل .

• • •



٣٤

٥ — وبدأت المطاردة ..

وقف حارسا حجرة القائد يتناقشان ، حول الأسباب التي
دعت قائدهم لمغادرة حجرته ، لأول مرة ، بعد منتصف
الليل .. وفجأة .. بر أحدهما عبارة هامة ، وعقد حاجبه
وهو يقول في قلق :

— استمع أيها الرفيق .. هناك جلبة ما تصدر من حجرة
القائد .

أنصت رفيقه في اهتمام ، ثم غمغم في ثور :

— هذا صحيح .. ولكن من يجرؤ على

قائمه زميله بإشارة من يده ، وغمس في النفعال :

— فلنؤجل السؤال لما بعد أيها الرفيق ، أما الآن فدعنا
نغاضى هذا المنضم .

دفع الخنديان باب حجرة القائد ، واندفعا إلى الداخل ،
شاهرين سلاحيهما ، ولكن أقداميهما تصلّبت في ذهول ، حينما
رأيا قائدهما ، الذي وأباه بغادرهما منذ لحظات ، مقبداً مكشفاً
فوق فراشه ، يقاوم وثاقه في شراسة ..

٣٥

لم يدم ذهول الجنديين أكثر من دقيقة ، اندفعا بعدها بمثل
وناق قائدهما ، الذي صرخ في غضب :

— أطلقا الإنذار .. أطلقاه فوراً ، قيل أن يفر ذلك المعطل
الشیطان :

وانطلقت صفارات الإنذار ..

انطلقت قبل أن يركب (أدهم) و (أندريه) سيارة الجنرال
(بودسكى) بالمحطة واحدة .

* * *

تقول ملقات اخبارات العامة المصرية عن (أدهم صبرى) ،
إنه يحمل بين ضلوعه قلباً لا تحبلى تضالته أبداً ، ولا يرتجف أمام
أشد المفاجآت هؤلاء ..

ولقد كان هذا هو الحال (أدهم صبرى) حقاً ، حينما
ارتفع فجأة صوت صفارات الإنذار ..

لم يكند الصوت يدوى في أرجاء المعسكر ، حتى ارتجفت
ساقا (أندريه) ، ونهاوى قلبه بين ضلوعه .. ، وعلى العكس
تماماً ، تحرك (أدهم) في سرعة مذهلة ، فأطاح بمدفعي حارسى
القيادة ، تركلبن في أن واحد ، ثم هوى على فكهما بقضيبه ،
فأزاحهما من طريقه ، واندفع إلى السيارة ، فانزع ساتنهما

الذهول من خلف عجلة القيادة ، وألقى به بعيداً وهو يقول
في سخرية :

— أنت مفصول أيها الرفيق السابق

وفي حركة سريعة قوية ، ألقى (أندريه) على المقعد المتجاور
لتقعد القيادة ، وقفز خلف عجلة القيادة ، وانطلق بالسيارة في
سرعة مذهلة ، مخلفاً عدداً من رصاصات مدافع الحراسة ،
أذابت الحديد ، حيث كانت تقف السيارة ..

صرخ (أندريه) في رعب ، وهو يحاول احتراق ظلمة الليل
بصره ، داخل السيارة التى انطلقت تشق اللوح كالصاروخ :
— احتسب أيها الجنون .. ستتراق السيارة فوق الثلج ، بهذه
السرعة المذهلة التى تنطلق بها .

لم يحج (أدهم) بكلمة واحدة ، فقد كان انبعاثه كله مركزاً
على الطريق الضيق ، الذى يبدو معالته في صعوبة وسط الظلام ،
على الرغم من ضوء السيارة المبهى ، وعاد (أندريه) يصرخ
— إنك ستقتلنا بهذا الجنون .

أجاب (أدهم) في برود :

— لو أننا سرنا بسرعة معقولة ، لأحق بنا السوفيت ، وفى
هذه الحالة سيصبح الموت أمراً حتمياً .

أراد (أندويه) أن يعترض ، ولكن صوت السيارات المطاردة
صك مسامعه ، وأعاد إلى ذهنه عذاب الأشهر السابقة في
معقل (سيرها) ، فالتشى اعتراضه ، وصرخ في ثوبه :

— انطلق بحق الشيطان .. ابتعد عن هنا بأقصى سرعة ممكنة .
ولكن (أدهم) كان ينطلق حقًا بأقصى سرعة ، يمكن أن
يمنحها محرك السيارة ..

ولقد أثبت السوفيت أنهم لا يقلون جرأة ، أو مهارة عن
(أدهم) ، فقد كانت سياراتهم المطاردة تنطلق بسرعة مذهلة ،
وبجسارة رائعة ، حتى غمك الرعب من (أندويه) . فانهار في
مقعده ، وغمغم في رعب :

— سيلحقون بنا .. لافائدة .. لافائدة .

انطلقت حملة المطاردة خلف سيارة (أدهم) في إصرار .
بتزعمها الجنرال (بودسكى) ، الذي يتميز غضبًا ، وحقًا ،
وعنادًا ..

كان حماسه يدفع الحدود للانطلاق بسياراتهم كالثعالب ، على
حين أخذ هو يرفرف في غيظ ، حتى سأل ضابط أركان حربه :

— إنه ينطلق بسرعة إضافية مذهلة يا سيدي الرفيق
الجنرال ، وهو يسبقنا بربع ساعة ، ولا أعقد أننا نستجح في
التحاق به .

قال (بودسكى) في خنق :

— سيسقط بين أيدينا يا صديقي .. إنه لا يحمل في سيارته
وقودًا إضافيًا ، بعكسنا ، ثم إن ضوء النهار ميسر في بعد ساعة
واحدة ، وعندئذ لن نجد مكانًا يحمي فيه .

صمت الضابط لحظة ، ثم قال في تردد :

— هل أبلغ السلطات لاسلكيًا ؟

عقد (بودسكى) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى بقعة الضوء
التي تتحرك من بعيد ، مع انطلاق سيارة (أدهم) ، وساد
الصمت لحظة ، ثم غمغم :

— يبدو أننا سنضطر إلى ذلك يا (ميخائيلوف) ، فبحر
نحتاج إلى بعض طائرات المطاردة
غمغم (ميخائيلوف) في دهشة :

— طائرات مطاردة ١٢

أومأ (بودسكى) برأسه إيجابًا ، وانهم بصامة شرسة ،
وهو يقول :

٦ - النسور والصقر ..

لفز الرقيق (ياكوف) من فراشه ، وصرخ في دهول :
- هرب !!.. يا لكم من حقى !! سأضعكم جميعاً في
موضعه ، بل سألقى بكم في أعماق الجحيم نفسها .
ثم ألقى سماعة الهاتف في غضب هادر ، واندفع يرتدى
ثيابه الرسمية ، على حين هفتت به زوجته في قلق :
- ماذا حدث يا (ياكوف) ؟.. ماذا حدث ؟
زجر وهو يقمغم في خشونة :
- ليس هذا من شأنك .
ثم اندفع مغادراً منزله ، وانطلق بسيارته التي تحمل شعار
رجال السلطة إلى مكنته ، وبعد لحظات خق به (إيفانوف) ،
الذى يادره في انفعال :
- هل صحيح أن ضابط اخبارات المصرى قرؤ من معتقل
(سبويلا) ؟
هتف (ياكوف) في خفق

- نعم أيها الرقيق . فما أن بسطع ضوء النهار ، حتى
بدو هذا الشيطان كمنقطة سوداء ، تنطلق فوق سطح ناصع
البياض .

وانطلقت من بين شغفيه ضحكة عسيبة ، ثم أردف :
- وهنا ستكون إصابته بالنسبة لطائرانا ، كإصابة فيل
بمدفع بازوكا ، على بعد قدم واحد أيها الرقيق ..
عاد يطلق ضحكته العسيبة ، قبل أن يستطرد :
- وسترى .



— نعم .. ولقد أصدرت أوامري بمطاردته بالعطارات ،
واعطاله على الفور .

صاح (إيفانوف) :

— ذعهم يسفونه بصواريخهم أيها الرفيق الجنرال .

كان وجه (باكوف) محضنا من شدة الغضب ، وهو يهز
رأسه في عناد شديد ، ويقول :

— كلاً أيها الرفيق ، إنني أريده حيًا ، حتى أسومه العذاب

ألوانًا ، هل سمعت .. إنني أريده حيًا .

* * *

أضواء مصباح الوقود الصغير في سيارة (أدهم) ، معلنا قرب
تفاد الوقود ، وانجرف جسد (أندريه) ، وهو يتطلع إلى

الصوة ، الذي بدأ ينتشر في المنطقة ، وقال :

— لقد أشرقت الشمس ، ونحن لم نعب ربع (سيبيريا) بعد .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— الشمس !!

صاح (أندريه) في حلق :

— أعني الصوة ، وسيجعلنا هذا مكشوفين تمامًا ، وربما
لحق بنا السوفيت .

التي (أدهم) نظرة سريعة على حزان الوقود ، ثم عاد يُولي
اعتناهم إلى الطريق ، وهو يقول في سخرية فاسية :

— يمكنك محو كلمة (ربما) أيها الوغد ، فقد انتهى وقودنا تمامًا .
انسعت عينًا (أندريه) في رعب ، وهو يقول :

— انتهى الوقود !!

لم يكذب يتم عبارته حتى توقف صوت محرك السيارة تمامًا ،
وعادت تنزلق بفعل القصور الذاتي ، حتى توقفت تمامًا ، فانتزع

(أدهم) المدفع الرشاش ، وقفز منها وهو يقول :

— هيّا أيها الوغد .. سنكمل رحلتنا غدًا .

تطلع (أندريه) في ذهول إلى صحراء الطح الممتدة أمامه ،
ثم صرخ في رعب :

— غدًا !! .. إن أماننا ما يقسرب من عشرة آلاف

كيلومتر ، حتى تصل إلى (موسكو) !!

تحرك (أدهم) دون أن يلتفت إليه ، وهو يقول :

— ابدأ العلوّ إذن أيها الوغد ، قمشوار الألف ميل بدأ
تأثنا بخطوة .

هتف (أندريه) في جنون ، وهو يشير إلى اتجاه السيارة
الطاردة :

— سيلحقون بنا .

لم يكذب هذه العبارة ، حتى أشار إليه (أدهم) أن
بصمت ، وعقد حاجبيه في تركيز ، وحينما حاول (أندريه)
تقليده ، تسلل إلى مسامعه صوت هدير يتصاعد في بطنه ، ثم
أخذت سرعة تصاعده ترتفع ، حتى تحول إلى صحيح مرتفع ،
وهنا هتف (أدهم) :

— يا إلهي !! السور !!

صرخ (أندريه) في رعب :

— السور !!.. ماذا تعني ؟

جاء الجواب هذه المرة على هيئة ثلاث طائرات مقاتلة
سوفيية ، غيرت السماء فجأة ، فوق رأس الرجلين تماماً .

تسمرت قدما (أندريه) وسط التلوج ، واتسعت عيناه
عن آخرهما في رعب ، وقد تركزتا على الطائرات الثلاث ، التي
دارت حول نفسها ، وعادت تنفض عليهما ، كسور تنفض
على فرحين صغيرين .

وقحاة .. انطلقت مدافع الطائرات الثلاث ، وانهمرت
رصاصةها حول الرجلين ، قبل أن تعود الطائرات الثلاث إلى
الارتفاع متعدة ..

كان (أندريه) قد انهار تماماً ، عندما سمع (أدهم) يغمغم
في اهتمام :

— يا إلهي !! ربما !!

رفع إليه عينيه ، وهتف في فففة :

— ربما ماذا ؟

لم ينطق (أدهم) بكلمة واحدة ، ولكنه رفع قوته مدفعة
الرشاش نحو الطائرات ، التي عادت تنفض من جديد ، وقبل
أن تظفر مرة أخرى برصاصاتها ، انطلق مدفع (أدهم)
الرشاش ، وشاهدت عيناه (أندريه) المذهولتان إحدى
الطائرات الثلاث ، وهي تنفصل عن رفيقتها ، وتباعد في
سرعة ، وقد نبعثها حيط من الدخان الأسود الكثيف ، على حين
ابتعدت الطائرتان الأخريان ، دون أن تطلقا رصاصة واحدة ،
فصرخ في ذهول :

— يا للشيطان !!.. لقد أصبتها .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— في الحزبان تماماً أيا الوغد .

عاد (أندريه) يصرخ في رعب :

— الطائرتان الأخريان تعودان ، مستقيمات منا ولا شك .

٧- رجل لكل العصور ..

لحظة واحدة تفصل الحياة عن الموت ..
جزء من الثانية يعلّق به خيط الحياة ، ويتدلّى منه حل
الموت ..

وفي هذا الجزء من الثانية ، تحرك (أدهم صبرى) ..
بمحكم خبرته السابقة في قيادة الطائرات المقاتلة ، كان يعرف
جيدا ذلك الجزء من الثانية ، الذى يطلق فيه الطيّار النار ، قبل
أن يعاود الارتفاع بطائرته ..

وفي اللحظة المناسبة تمامًا .. وبدقّة متناهية ، تكاد تنافس
أجهزة الكمبيوتر ، قفز (أدهم) إلى الأمام ، ونفادى الطلقات
النارية ، التى انهمرت حيث كان يقف ، ثم مال جانبا ، وأطلق
رصاصات مدفعه الرشاش على خزان الطائرة الثالثة
والأخيرة ..

وهوت الطائرة ..

رجل واحد أسقط ثلاث طائرات مقاتلة ، بمدفع رشاش
واحد ..

جاءت رصاصات الطائرين هذه المرة أكثر قربا من
الرجلين ، والمخبط صوحها بصوت رصاصات مدفع (أدهم)
الرشاش ، وانفصلت طائرة ثانية ، لتجرى مشتعلة بين التلوج ،
وعاد (أندريه) يهبط في دهول :

— يا للشيطان !!

دارت الطائرة الثالثة دورة رأسية عالية ، ثم عادت تقص على
الرجلين في شراسة ، وكأن قائدها قد قرّر مخالفة الأوامر الصادرة
إليه ، وإطلاق النار على الرجلين مباشرة ، ولو أننا اتقلنا إلى
كابينة الطيّار ، لوجدناه يهبط في غضب :

— أرى ما يمكنك أن تفعله الآن أيها الشيطان ..

ثم ضغط زرّ الإطلاق في عصا القيادة ، وهو بصوّب مدفعه
الرشاش إلى صلب (أدهم) تماما .



رجل واحد حطم ثلاثة من سور الجز السوفيت ..
وكان الرجل مصرياً عاصماً ..

كان رجلاً لكل العصور ، وبطلاً لكل الأجيال ..
كان (أدهم صبرى) ..
كان (رجل المستحيل) ..

شحب وجه (ياكوف) ، وهو يستمع إلى محدثه غير
ساعة الهاتف ، ثم وضع الساعة في بطة ، وتراحى فوق
مقعده ، وأشعل سيجارة ، ملأت رائحتها الحجرة بسرعة ،
وسأله (إيفانوف) ، وهو يعقد حاجبه في قلق :
— ماذا حدث ؟

ظل (ياكوف) يحدق في وجهه برهة في شroud ، ثم غمغم في
صوت رجل مذهول :

— لقد أسقط ثلاث طائرات مقاتلة .

اعتدل (إيفانوف) في مقعده بحركة حاذقة ، وسأل في
ذهول :

— من هو الذى حطمها ؟

بدا (ياكوف) وكأنه يهيم بالكاء ، وهو يقول :

— ذلك الشيطان المصرى .

لفظ (إيفانوف) من مقعده ، هائلاً :
— من ... !!

ثم عاد يتأرجح على مقعده ثابتاً ، ويتقلب غير مصدق :
— هل استخدم صواريخ دفاعية ؟ أو ...

هز (ياكوف) رأسه لفتياً في بطة ، وأجاب :
— بمدفع رشاش واحد .

انتصت عيناً (إيفانوف) عن آخرهما ، وتدلت فكته السفلى
في ذهول ، وهو يغمغم :

— هذا مستحيل !! مستحيل !!

وفجأة .. ضرب (ياكوف) سطح مكتبه في قوة ،
وصاح :

— سواجهه بكل قواها .. إن (روسيا) التى هزمت
(نابليون) و (هتلر) ، لن تعجز عن قص رجل محامرات
مصرى واحد ، في أعماق (سيبيريا) .

ثم التقط ساعة الهاتف ، وطلب رقمًا في النعال .. ولم يكده
بسمع صوت محدثه ، حتى قال في حرامة تخطط بغضبه :
— أرسل خمس مقاتلات ، لطاردة هذا الشيطان المصرى ،

ومرهم بقذقه بالصواريخ فور رؤيته ، وأطلق خلفه عشر
ديابات ، وأجعل هدف المسح هو تدميره .. تدميره دون
سابق إنذار .

ولف (أندريه) دقيقة كاملة ، يحدق في وجه (أدهم)
بدهول شديد ، ثم غمغم في صوت ينفث عن دهشته البالغة :
— لقد أسقطتها !! لقد قطعت بحق الشيطان !
فحص (أدهم) مدفعه الرشاش في سرعة ، ومهارة ، ثم
أجاب في هدوء :

— سيرسلون عشرات غيرها ، وسيلحق بنا فريق المطاردة
بعد دقائق .

عاد (أندريه) يهتف ، وكأنه لم يسمع عبارة (أدهم) :
— كان من الممكن أن تلقى مصرعك .

انضم (أدهم) في سحوية ، وقال :
— لو أنهم يريدون قتلنا لقتلوا من المحيم الأول يا رجل ..
لقد كانوا يريدون إجبارنا على الاستسلام فحسب ، ولقد
استطعت أنا ذلك جيداً .
تلقت (أندريه) حوله في تولر ، ثم صاح في خوف :

٥٠

— أين ذهب الآن ؟ لا يوجد مكان واحد يمكننا أن
نخفي فيه .

بدأت ابتسامة (أدهم) عجيبة في عيني (أندريه) ،
وأدهشه أن أراح (أدهم) طرفه معظمه السميك ، وانزعج من
تحت سريره وسادات حجرة (بودسكي) ، التي استغلها ليصبح
جسده هذا الحجم الرائد ، وقال وهو يمزق أعطيتها البيضاء :

— هذا ما قد يبدو لك أيها الوغد .

صاح (أندريه) في قلق :

— ماذا ستفعل ؟

انضم (أدهم) في هدوء غامض ، وغمغم :

— سترى أيها الوغد .. سترى

توقفت حملة المطاردة ، التي يفوقها الجنرال (بودسكي) ،
إلى جوار سيارة (أدهم) المنعطة ، وعقد الجنرال حاجبيه ،
وهو يمسح المنطقة بعصره ، ثم قال في حنق :
— أين ذهب هذا الشيطان ؟ إنه يبدو كما لو كان قد
ذاب وسط الجليد .

تطلع (ميخائيلوف) إلى المنطقة الخالية بدوره ، ثم غمغم في
خبرة :

— لاشك أنه ورققه لم يعد كثيرا ، فالأرض في هذه المنطقة مبسطة ، ولو أنهما ...

تر عبارته فجأة ، لما شعر فيها من تناقض ، وهز كتفيه وهو يقول في خيرة :

— لست أدري أين ذهبا ...

ضرب (بودسكى) مقعده بقضته ، وصاح في غضب :
— لن يمكنهما الفرار ، إننا ثلاث سيارات ، ولدينا اثنا عشر جنديا ، سنحيط المنطقة كلها و ...

وفجأة ... تر عبارته ، حينما تبعث من خلف السيارات الثلاث صوت ساعر ، يقول في لغة روسية سلمية ، وبلهجة متعكمة ، عاتبة :

— لن نحتاج إلى كل هذا أيها الرفيق الجنرال ، ها نحن أولاء ..



٨ — شيطان الثلوج ..

استدار (بودسكى) ، و (ميخاليلوف) ، والاثنا عشر جنديا في آن واحد ، ول ذهبوا شديدا إلى مصدر الصوت ، فاضدمت عيونهم بهيق قوى تبعث من عيني (أدهم صبرى) ، وهو يصوب إليهم قذبة مدفعة الرشاش ، وقد أخفى ملاسه كلها ، وملابس (أندريه) ، الذي وقف إلى جواره برنحف ، بأغطية الإسادات البيضاء ..

كان (بودسكى) هو أول من تجاوز أسوار الدهول ، وهتف :

— كنت تخفى وسط الثلوج إذن ؟

اتسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

— كان ينبغي أن تدركوا ذلك منذ اللحظة الأولى ، فهذه

خدعة سوفيتية محصنة .. ولقد استخدمها رجال المقاومة السوفيتية ، لإخفاء تسللهم إلى معسكرات الألمان ، في الحرب العالمية الثانية^{١٠} ، فالثلوج تخفى أى جسم أبيض وسطها .

(*) حقيقة واقعية .

هتف (ميخائيلوف) في غضب :

— هل تظن أنك ستترنما كلنا بمدفع رشاش واحد ؟

اسم (أدهم) في سخرية . وقال :

— لقد فعلت بالفعل أيها الرفيق .

ازداد غضب (ميخائيلوف) ، وهو يقول :

— هذا ما نطشه ، إن جردنا بواسطة أيها الشيطان

ثم استدار إلى رجاله ، وصاح بلهجة أمرية :

— أشهبوا مدافعكم في وجهه أيها الرفاق .

ارتفعت قوّهات المدافع الاثني عشر في وجه (أدهم

صوى) بمركبة آلية ، وأرتفع في المنطقة صوت سيل من

الطلقات النارية .

حينما يقرّر رام محترف إطلاق النار ، فوضع هذا القرار

موضع التنفيذ يحتاج منه إلى ثلاثة أعشار من الثانية ..

في العُشر الأول بصوب سلاحه إلى الهدف ، وفي العُشر

الثاني يثبت السلاح ، وفي العُشر الثالث يطلق النار ..

هذا ما يحتاج إليه بالضبط رام محترف ، لا مجال للتردّد في

عمله ..

وبالنسبة إلى رجل مثل (أدهم صوى) ، لم يكن الاحتراف

وحده هو كل قدراته ، وإنما كانت هناك موهبته الخرافية ، في

سرعة المبادرة والاستجابة ..

ولقد اقتصرت هذه الموهبة ثلثي الوقت ..

وفي عُشر الثانية فقط ، انطلقت رصاصات (أدهم) نحو

أهدافها ، وسبق خصومه بعُشرتين من الثانية ..

ولم يكذب يتلأخ صوت الرصاصات ، حتى كان الدهول قد

أحاط بالجميع ، ما عدا (أدهم) ..

لقد أصابت رصاصاته المدافع الرشاشة من أيدي الجنود ،

دون أن يصاب أي منهم بأذى أذى .. وكان الأمر يشبه

المعجزة ..

لقد تلاشى غضب (ميخائيلوف) دفعة واحدة ، ولقد

أقسم في تقريره — فيما بعد — أنه لن ينسى هذا المشهد ما بقي

من العمر ، ولا عبارة (أدهم) وهو يقول في هدوء ، محطماً

حائلي الصمت والذهول :

— والآن .. هل توافق على الاستسلام أيها الرفيق ؟

رفع الجنود الاثنا عشر أيديهم إلى أعلى في استسلام ، دون أن

تخطر لأحدهم فكرة المقاومة ، بعد هذا المشهد المذهل ، الذي

رأته عيونهم ، وتبعهم (بودسكى) ، و (ميخائيلوف) ،
الذى قال في ذمور :

— إنك لم تترك لنا الخيار أيما الشيطان المصرى .

قال الجنرال (بودسكى) في لهجة عصية :

— ماذا ستفعل بنا ؟

ابسم (أدهم) ابتسامه غامضة ، وقال :

— سيدعشك ما سأفعله أيما الرفيق الجنرال .

* * *

انطلقت سبع طائرات مقاتلة ، تبحث عن (أدهم)
(و أندريه) ، فوق ثلوج (سيربيا) ، ولم يطل بحثها ، حتى
رأى طيارو المقاتلات قافلة البحث ، وعلى متن إحدى سياراتها
الثلاث رجالان ، صوّبت إلى رأسهما المدافع الرشاشة ، فأسرع
قائد الطائرات السبع يفت ، عبر جهاز اللاسلكى اتصل
بمؤدته :

— هل ألقية القبض عليهما ؟

جاءته الإجابة من فريق البحث :

— لقد فعلنا أيما الرفيق الطيار .. ونحتاج إلى هليكوبتر ،

لنقلهما إلى الرئاسة (في موسكو) .

تهد الطيار في ارتياح ، وقال وهو يقفل راجعا إلى قاعدته
الجوية :

— سصلكم الهليكوبتر بعد دقائق .. لا ترحبوا مكانكم .

ابتعدت الطائرات السبع المقاتلة في سرعة ، وتابعهم الجنرال
(بودسكى) بعينه في سطح ، ثم غمغم في حلق :

— هل تظن أن المطاردة ستنتهى ، بسب جدعتك هذه أيما
المصرى ؟

ابسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

— لا بالطبع ، ولكن هذا سيمتحننا وسيلة انتقال جوية ،

وكثيراً من الوقت الإصاى أيما الرفيق الجنرال .

كان (بودسكى) يجلس هذه المرة في السيارة الأخرى ،

وإلى جواره نائبه (ميخائيلوف) ، وحلفهما جلس (أندريه)

منكمشاً ، وإلى جواره (أدهم) ، بصوّب مدفعه الرشاش إلى

الجميع ، على حين نزع جنديان لياهما الرصمة ، وجلسا في

استسلام ، ورفالهم يصوّبون إليهم أسلحتهم ، التى اتزع

(أدهم) ذخيرتها ، والجميع يمشون الوروع في أى خطّ ، قد

يدفع (أدهم) إلى إطلاق النار عليهم مرة أخرى ..

كانت هذه هى الصورة الحادعة التى رآها طيارو المقاتلات

السوفية السبع ، ولقد أخلق هذا الخداع الجنرال
(بودسكى) كثيراً ، حتى أنه عاد بغيرهم من بين أسنانه في
عظ :

— إنك لن تنجو .

هز (أدهم) كفيه في اللبالة ، وقال :

— لست أحب أن أسبق الأحداث ، أيها الرفيق الجنرال .

لإذ الجميع بالصمت بعد عبارة (أدهم) ، وطال صمتهم ،

حتى ارتفع صوت الميكروكوبتر الحربية وهي تقترب ، ولم تلبث

أن لاحت في الأفق ، واقتربت من السيارات الثلاث في سرعة ،

ثم هبطت على بعد أمتار قليلة منها .. ولم تكدهم مزاحها توقفت

حتى فتح بابها الخائى ، واندفع منه عشرة جنود ، أحاطوا ،

بالسيارات الثلاث ، ومدافعهم الرشاشة مُشَهرة في وجوه

الجميع ، وبدأ على بابها الرفيق (ياكوف) ، وهو يتشم اتسامة

العالم ، فأنلأ في هدوء :

— كانت مدعك مُضنة أيها الشيطان المصرى ، ولكنك

أخطأت خطأ واحداً ، وسيكون ثمن هذا الخطأ هو حياتك .

٩ — الثعلب ..

تراجع (أندريه) في مقعده شاحباً ، ولوح بكفيه أمام
وجهه ، وهو يصرخ في رعب :

— لقد أجبرنى على ذلك .. لقد أجبرنى على مرافقتك .

لم يستمع (أدهم) إلى عبارة (أندريه) المرتعدة ..

كانت عيناه تدرسان الموقف ، وعقله يقطب الأثر على كل
الوجه ..

كان من المستحيل — حتى بالنسبة إليه — أن يتغلب عليهم

حقيقاً ، وهم يتخذون هذه المواضع المختلفة ..

لم تكن جواربه وحدها تكفي للنصر هذه المرة ، لذا فقد

قرّر (أدهم) أن ينهى شجاعة الأسود جانباً ، ويستدعى مكر

الثعلب ، ودعاء الذئب ..

كان على عقله وحده ، أن يسعى للنصر ..

خمنص (أدهم) قوّة مدفعه الرشاش ، وقال في هدوء :

— حسناً .. لقد انتصرت هذه المرة ، أيها الرفيق (ياكوف) .

استعت ابصامة الظفر على شفتي (ياكوف) ، وأشعل
واحدة من سجائره السوفيتية في تلمذ ، على حين هتف
(يودسكى) ، بلهفة رجل الزاح عن صدره جل لليل :
— أخيرا .

ثم استدار إلى (أدهم) ، وجدبه من باقة معطفه ، وقال في
غضب :

— ستدفع الثمن غالبا أيها الشيطان .

ابسم (أدهم) في سخرية . وقال :

— ليس الآن أيها الرفيق الخمرال ، براودى شعور بأنسى
سأرافق الرفيق (ياكوف) إلى (موسكو) .
صرخ (يودسكى) في غضب :

— (موسكو) ١٢ . إنك لن ترى إلا تلوج (سيبيا) ،
حتى تحين لحظتك الأخيرة .. وصدقتى لقد التزيت كثيرا .

كان (ياكوف) قد التزيت كثيرا ، في أثناء حوارهما ، حتى
بات على قيد خطوات قليلة منهما ، فقال في هدوء ، وهو يحدج
(أدهم) بنظرة متسائلة :

— ولماذا تظن أنك سترافقت أيها الشيطان المصرى ؟

اعتدل (أدهم) في جلسته ، ومال نحو (ياكوف) ،
وقال في هدوء :

— لأنسى رجل أعترف بالعقوبة أيها الرفيق (ياكوف) ،
وأنت تصف الآن موقف المنتصر ، لذا فقد قررت أن أخبرك بكل
مالدنى ، عن طبيعة مهمتى هنا .

صالت عينا (ياكوف) ، والعقد حاجباه في خيرة ، وهو
يحدج (أدهم) بنظرة متشككة ، ثم قال في صرامة :

— مستخرفي بكل مالديك ، عندما تعود إلى معقل
(سيبيا) .

هز (أدهم) رأسه لفيما في هدوء ، وقال في صرامة بمحاولة :
— لن نحصل منى على كلمة واحدة ، إذا ما عدت إلى
(سيبيا) أيها الرفيق .. وأنت تعرفنى ، ويبغى أن تعلم أن
ما سأخبرك به سيكون مفاجئا ، وخطيرا وسيم رؤساءك
كثيرا ، ولكننى أطالك بالثمن .

أرداد انعقاد حاجبى (ياكوف) ، وهو يغمغم :

— الثمن ١٢

أجاب (أدهم) في هدوء :

— نعم أيها الرفيق ، والثمن الذى أطلبه هو عودتى ، وهذا

الوعد (أندريه) إلى (موسكو) ، وإبداعنا أى سجن هناك ،
بدلاً من هذا المعتقل الميت في (سيبيريا) .

بدأ التفكير على ملاح (ياكوف) ، على حين هتف
(بودسكى) في غضب :

— محال .. إنها خدعة أيها الرفيق الجنرال .. هذا الرجل
شيطان و ...

قاطعته (ياكوف) في صرامة :

— صة أيها الرفيق (بودسكى) .. ليس من حقك أن
تتكلم ، بعد أن ساعد إيمانك في عملك على فرار الرجلين .
ولأول مرة ، من معتقل (سيبيريا) .. ولا تنس أنك لم تحاسب
بعد على هذا .

امتنع وجه (بودسكى) ، ولاذ بالصمت في غضب ، على
حين واجه (ياكوف) (أدهم) ، وقال في هدوء :

— حسناً أيها المصري .. متصحبتي أنت ورفيقك إلى
(موسكو) .. ولكنني أحذرك .. فلو لم تكن معلوماتك
بالقيمة التي ذكرتها ، فلن تعود إلى (سيبيريا) ، ولكنني
سأودعك قهراً ، لا يمكن للإنسان أن يفرّ منه أبداً .

دارت مراوح المليكوبتر ، استعداداً لارتفاعها عن الأرض ،
وجلس (ياكوف) إلى جوار قائدها ، يدخن سيجارته الثالثة ،
على حين جلس خلفه (أدهم) و (أندريه) ، وخلفهما
الجنود العشرة ، يصوبون أسلحتهم إليهما ..

كان (أندريه) يصيح طوال الوقت :

— لقد أجرى .. أقسم لكم .

على حين جلس (أدهم) صامتاً ، باسم الثغر في هدوء
وسخوية ، ويداه مكبلتان خلف ظهره بأغلال حديدية ..

ارتفعت المليكوبتر ، وانطلقت نحو (موسكو) ، في
اللحظة التي سأل فيها (أدهم) (ياكوف) في بساطة :

— كيف عرفت أن الأمر مجرد خدعة أيها الرفيق ؟

اتسم (ياكوف) في فخر ، وقال :

— إنهما خطآن في الواقع .. لقد أجلس الجنرال
(بودسكى) في السيارة الخلفية ، وهذا لا يحدث أبداً بالنسبة
لقائد سوفيتي ، يتزعم فريقاً للمطاردة .. ثم إنك طلبت
هليكوبتر لنقل القبوض عليهما إلى الرئاسة في (موسكو) ،
وهذا إجراء عجيب .. فلو أن (بودسكى) ألقى القبض على
القائدين حقاً ، لعاد بهما إلى المعتقل أولاً ، ولن يرسلهما إلى

الرياسة ، حتى يُطلب منه ذلك رَجِيًّا .. لقد كنت في طريقى إلى هنا ، حينما أخبرنى قائد الطائرة بذلك ، وفهمت عندئذ على الفور ، فقابلتك بخدعة مائلة ، وهكذا كان الأمر .
شعر (أندريه) بدهشة بالغة ، عندما ابسم (أدهم) فى هدوء ، وقال :

— أنت تغلب ماكر يا عزيزى (ياكوف) .

ثم أردف فى هدوء أدهش الجميع :

— أخبرنى إذن عندما نصل إلى (موسكو) ، فأنا أحتاج إلى بعض النوم .

قال هذا ، واسترخى فى مقعده بهدوء ، وأغلق عينيه ، وبدأ وكأنه قد راح فى نوم عميق .

مضت ساعة كاملة فى طيران متواصل ، فوق للسوج لا تتبى ، و (أندريه) يعجب من استغراق (أدهم) فى مثل هذا النوم العميق ، حتى قال قائد المليونكير :

— لقد اقتربنا من (موسكو) ، وستصلها بعد عشر دقائق من الآن .

ثم فتح جهاز الإرسال ، وقال :

٦٤

— من (نالوفسا — ١٠) إلى القاعدة (موسكو ٣) ..
أصل حامل الجبال (ياكوف) ، ومعتلى (سيريا) ..
أطلب الإذن بالهبوط .

ساد الصمت لحظة ، ثم جاء الجواب عبر الجهاز :

— من (موسكو ٣) إلى (نالوفسا — ١٠) .. تم التصريح لك بالهبوط .. الطريق مفتوح أمامك إلى (موسكو) .

تم الطيار بكلمة غير مفهومة ، وأغلق جهاز اللاسلكى ..
وفجأة .. قفز (أدهم) على الطيار وجذبه إليه وهو يقول فى سخرية :

— هذا ما كنت أنتظره بالعبط يا صديقى .



٦٥

ارتفعت المليونكوبتر بغثة ، عندما جذب الطيار عصا القيادة على نحو غريزي ، وكأنه ينسبث بها . حينما واجهته مفاجأة (أدهم) ، واحتل توازن الجنود العشرة ، لسقطوا في أرض الطائرة .. وقبل أن يهبض أحدهم ، انطلقت قبضات (أدهم) وركلته وسطهم كعاصفة هوجاء ، لا تبقى ولا تذر ..

حاول الطيار إعادة التوازن للمليونكوبتر ، بعد أن تركه (أدهم) ليواجه الجنود العشرة ..

ولمح في ذلك بصعوبة بالغة ، تم عن مهارته العالية في القيادة .. ولم تكد الطائرة تسطر حتى التزع (ياكوف) مسدسه ، واستدار ليطلق النار على (أدهم) ، ولكن هذا الأخير أطاح بالسدس في ركلة ماهرة ، ثم التقطه ، وصوبه إلى (ياكوف) وفائد الطائرة ، وقال في سخرية :

— فأت الوقت أيها الرفيق ، كان ينبغي أن تبادر إلى ذلك ، فور احتلال توازن المليونكوبتر .

تطلع (ياكوف) في ذهول ، شاركه فيه (أندريه) ، إلى الجنود العشرة ، الذين سقطوا فاقدى الوعي في أرض الطائرة ، ثم عاد يرفع عينيه المذهولتين إلى (أدهم) ، ويغمغم في صوت غثق :

— كيف .. كيف تحلصت من فيودك ؟

ابسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

— إنسى حير في الإفلات من الليسود يا عزيزي (ياكوف) .

ثم استدار إلى قائد الطائرة ، وأردف في صرامة :

— اهبط يا صديقي .. سأربحك بعض الوقت من القيادة .

وقف قائد الطائرة ، و (ياكوف) ، والجنود العشرة فوق التلوج ، على حافة مدينة (موسكو) يتطلعون في مزج من الدهشة والحلق إلى (أدهم) ، الذي ظل يصوب إليهم قبعة مدفعه الرشاش ، وهو يدير محركات المليونكوبتر ، وإلى جواره (أندريه) ، الذي يبدو أشد ذهولاً من الجميع . بدأت مراوح المليونكوبتر في الدوران ، عندما تنفس (ياكوف) في غضب :

— مستطقتك المقالات السوفيتية .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— هل نسيت أن المليونيكوبتر قد حصلت على إذن بالهبوط ،

واحتراق أجواء (موسكو) يا عزيزي (ياكوف) ؟ .. لقد

انتظرت هذه اللحظة بالذات ، قيل أن أبدا هجومي ، وكان هذا

هو هدلي .

قال (ياكوف) في غيظ :

— لن يمكنك الهبوط في قاعدة (موسكو ٣) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— من قال إنني سأهبط يا عزيزي (ياكوف) ؟

ثم ارتفع بالطائرة ، وانطلق مبتعدا في مهارة رائعة ، حتى أن

الطيار السوفيتي هتف في إعجاب ، لم يتنه إليه :

— يا للزوجة !! .. إنه يفوقني مهارة .

خذه (ياكوف) بنظرة قاسية ، جعلت الدماء تتصاعد

إلى وجه الطيار ، ثم انزع من جيب معطفه جهازا صغيرا ،

رفعه إلى فمه ، وضغط أحد أزراره ، وهو يقول في صرامة :

— إنه يظن نفسه عبقريا ، ولكنني سأمنحه أكبر مفاجأة في

حياته .

ثم التصق فمه بجانب الجهاز ، وقال في لحظة أخرى :

— هنا الرقيب (ياكوف) .. وقعنا ضحية خدعة

شيطانية ، واستولسي جاسوس مصري على المليونيكوبتر

(نافلولا — ١٠) .. أرسلوا مقاتلاتكم خلفه ، وأسقطوه

دون سابق إنذار .

صاح (أندريه) ، وهو يرقب السماء في خوف :

— إلى أين تنوي الذهاب ؟ .. هل ستعود إلى (موسكو)

حقا ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

— بالطبع .

عقد (أندريه) حاجبيه ، وقال في حنق :

— يالك من غبي !! إننا نملك طائرة الآن .. أسرع إلى

الحدود الفنلندية .. هيا .. وستعادر هذه البلاد الحمراء إلى

الأبد .

أجاب (أدهم) في صرامة :

— سذهب إلى (موسكو) فقط أيها الوغد .

وفجأة .. شعر (أدهم) بظربة مدفع رشاش باردة تلصق

بجانبه ، وسمع صوت (أندريه) يقول في عصبية :

— قلت لك أنا سذهب إلى الحدود الفلندية .. ويحكك
اعتار هذا احتطافاً .

أطلق (أدهم) صرخة ساخرة عالية . وقال في تهكم
لادع .

— ذغ عنك حافلك هذه أيها الوغد .. لو أنك أطلقت
النار على فستوى بنا المليونكوتير معا ، ولا اعتقد أنك تفصل
مثل هذه الميتة .

قال (أندريه) في عصبية :

— الموت أفضل من عودتي إلى (موسكو) .

ظهر الضجر على وجه (أدهم) ، وقال في سأم :

— كُف عن حافلك هذه أيها الوغد ، والزم الصمت حتى
نصل إلى هدفنا .

احتضن وجه (أندريه) ، هذه اللامبالاة التي يعامله بها
(أدهم) . فصاح في غضب :

— صدقني يا مسر (أدهم) .. سأفلك

وفجأة .. مال (أدهم) بالمليونكوتير جانبا ، بحيث احتل
لوزان (أندريه) ، وسقط من فوق مقعده . وأفلت المدفع
الرشاش من كفتيه ..

كان (أدهم) يستهدف تلقينه درسا فحسب . ولكن ذلك
الميل جاء في مواعده تماما ..

ففي اللحظة ذاتها ، التي مالت فيها المليونكوتير ، غير إلى
جوارها تماما صاروخ قاتل . أطلقت طائرة حربية قوية ، وصاح
(أدهم) :

— يا إلهي !! لقد كشفوا أمرنا على نحو ، أو آخر .

ثم التحرف بالطائرة في قوة ، متفاديا صاروخا آخر ، وأطلق
(أندريه) صرخة فرح ، عندما مرفت مقاتلة سوفيتية إلى جوار
المليونكوتير ، وهتف في رعب :

— يا للشيطان !! لقد أوقعوا بنا .. سيفطونا ..

ومع آخر حروف كلماته ، تحطمت مروحة المليونكوتير إلى
شظايا صغيرة ، بعد أن أصابها صاروخ أطلقته مقاتلة سوفيتية
أخرى ، ودارت المليونكوتير حول نفسها في جنون . ثم هوت نحو
الطوح ، وصرخ (أندريه) في رعب هائل :

— إنها النهاية .. إنها النهاية .

١١ - طريق الموت ..

دارت المقالات السوفيتية حول الغليوكوبتر ، وهي نوى
وسط غابة كثيفة ، على أطراف (موسكو) ، لتؤكد من نتائج
المجوم .. ولم تكدهم حتى لحظات ، حتى تحطمت الغليوكوبتر على
سطح الأشجار ، وتناثرت أجزائها في أرجاء الغابة ، ثم اشتعل
حزائها بقايا الوقود داخله ، وانفجرت في دوى شديد .. فقال
أحد الطيارين خلال جهاز اللاسلكي :

— نجحت المهمة .. تم تدمير الجاسوس المصرى ، نطلب
الإذن بالعودة إلى القاعدة .

فقر (ياكوف) في سعادة ، حينما التقط جهازه الصغير
رسالة الطيار ، وصاح في مرع :

— لقد انتصرنا يا رفاق .. هزمتنا الشيطان المصرى .

عشقم قائد الغليوكوبتر في حتى :

— وخسرنا طائرتي أيضاً يا سيدي الرفيق الجنرال .

لم تحفظ هذه العبارة من مرع (ياكوف) ، فأطلق ضحكة
متوترة ، وصاح :



فمن اللحظة ذاتها ، التي ماتت فيها الغليوكوبتر ، عبر إلى
جوارها ثماناً صاروخ قاتل ، أطلقتها طائرة حربية ..

— كل شيء يمكن تعويضه أيها الرفيق .. كل شيء .
ثم أردف في حماس :
— ما عدا العهد السوفيتي .

تأوه (أندريه) في ألم ، وهو يمسك كاحله المتوتر ، وصاح
في دُعر يتخلط بأوجاعه :

— لقد التزى كاجلي .. لقد دفعتني في قسوة ، وألقيت في
من ارتفاع أربعة أمتار كاملة .

غمغم (أدهم) في صديق ، وهو يفحص ما لبس من
رصاصات ، في خزانة مدفعه الرشاش :

— هل كنت تفضل الموت محترفاً ، وسط حطام
الجليوكوبتر ؟

استعاد ذهن (أندريه) مشهد (أدهم) ، وهو يدفعه
عارج الجليوكوبتر ، ثم يقفز خلفه ، في سرعة ..

مبادرة مذهلة ، قبل ثانية واحدة من ارتطام الجليوكوبتر بقمم
الأشجار ، فشح وجوهه ، وهو يتصور ما كان من الممكن أن
يصبه ، لو لم يفعل (أدهم) ذلك ، ورفع عينيه إليه ، وسأله
في خيبة :

— لماذا تفعل كل ذلك من أجل ؟

غمغم (أدهم) في سخرية :

— من أجلك ؟

ثم أردف في تهكم شديد :

— يبدو أنه من الضروري أن نفهم ما يحدث أيها الولد ..

لقد طلبوا في القاهرة ، وصول البضاعة سليمة من
(موسكو) .. وكل ما فعله أنا هو أن أحافظ على الشحنة ،

حتى تصل على نحو لائق .

احتقن وجه (أندريه) ، وعاد يتأوه ، ويشد على كاحله
صالحاً :

— لن يمكنني السير كاجلي يؤملي للغاية .

قال (أدهم) وهو يعلق مدفعه الرشاش خلف ظهره :

— هيا يا رجل .. ماهي إلا بضعة كيلومترات ، ونصل إلى
قلب (موسكو) .

هف (أندريه) في سخط

— بضعة كيلومترات .. من السهل أن تقول هذا ، وأنت

سلم معافي .. أما أنا فلن أقدر على السير خطوة واحدة بكاجلي
المتوتر هذا

مال (أدهم) نحوه فجأة .. وهو يقول في صرامة :
— سأحملك .

وفي لحظة واحدة ، كان قد قرن القبول بالعمل : وحل
(أندريه) كالطفل الصغير فوق كتفيه ، فصاح هذا الأخير في
غضب :

— مهلاً .. إنك تزلُم ساقى .

صاح به (أدهم) بغية :

— الزم الصمت .

شعر (أندريه) بالخوف ، مع شجوة (أدهم) الصارمة ،
فأطبق شفاهه .. ولكن (أدهم) لم يخط خطوة واحدة ، بل
بدا منتصباً للغة ، حتى أن (أندريه) سأله في مزج من الخيرة
والقلق ، وبصوت هامس :

— ماذا حدث ؟

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيبه (أدهم) في هدوء :

— يبدو أنهم يحنون عتاً أيها الوغد ، ويعاونهم في ذلك

رهنط من كلاب البحث والمطاردة

تسلل خوف شديد إلى أعناق (أندريه) ، وأرهق سمعه
بدافع الرعب ، فتأهى إلى مسامعة صوت تباح متواصل ..

نباح أثار في أعناقهم دُعر الموت ..

لم يلبس (أندريه) — في عمرة قلقه وخوفه — كم من الوقت
ظل (أدهم) واقفاً ، صامتا ، يستمع في اهتمام شديد إلى
صوت الكلاب وهي تتغرب . ولكنه فوجئ به بتحرك فجأة في
خطوات سريعة ، وهو يحمل فوق كتفيه ، ثم تتحوّل خطواته إلى
غدير ، فهتف في دُعر :

— روئدك يامسّد (أدهم) .. إنك تؤلّسى .

صاح (أدهم) ، وهو يواصل غدوه في سرعة :

— ألم تسمع أيها الوغد !؟ لقد اشتقت الكلاب
والحسنا ، وها هي ذى تسعى إلينا

ارتجف جسد (أندريه) ، وهو يقول في رعب :

— هل تعنى أن الكلاب تطاردنا ، وأن ... ؟

بتر عبارته فجأة ، حينما جتك مسامعة صوت نباح قوى
قريب ، تفوح منه رائحة الوحشية والدم . وبرزت فجأة ثلاثة

كلاب ضخمة الحضة ، من بين الأشجار ، والدلجعت نحو
الرجلين ، والزئد يسيل من أشداقها ، وصرخ (أندريه) :

— كلاً .. كلاً ..

وامتدت صرخته في آهة طويلة عميقة ، عندما ألقى به
(أدهم) أرضاً ، واستدار يواجه الكلاب الثلاثة ..

واسعت عينا (ألدنيه) في رعب .. حيناً رأى الكلاب
الثلاثة تفتقر نحو (أدهم) ، وتشتب محالها في جسده ..

كان الإجهاد قد وصل إلى مبلغه في جسد (أدهم) ،
ولكن حماسة كان يفوق تعبهُ ، وبحير جسده على العمل الحثيث
المشوق .. ولقد كان يعلم مدى خطورة وشراسة كلاب المطاردة
السوفييتية ، ولكن هذا لم يمنعه من مواجهتها في شجاعة ، وإن
كان هدفه الأول هو عدم إمتلاق النار عليها ، حتى لا يتكشف
أمره من صوت رصاصاته ..

في اللحظة التي فطرت فيها الكلاب الثلاثة نحو (أدهم) ،
فقر هو أيضا نحوها ، وفي منتصف الطريق التقى بها ، وأثبتت
الكلاب محالها في جسده ، وهوى هو بقصصه على رأس أرفها
وثانها ، على حين وكل ثالثها في بطنه بقوة رهبة ..

غوت الكلاب الثلاثة في ألم بعد أن هبطت على أقدامها ،
وعادت تحاول إعادة تقيم خصمها القوي ، وهي تزوم ، وترجمح
في غضب ، ثم انقضت أكثرها شجاعة على (أدهم) ، الذي



في اللحظة التي فطرت فيها الكلاب الثلاثة نحو (أدهم) ،
فقر هو أيضا نحوها ..

عاجله بكلمة صاعقة في عنقه ، الذي تحطم في صوت
مسموع ، وسقط الكلب بين رقبته ، وولدت من حلقه حشرة
أخيرة ، انتفض بعدها انفاضة قوية ، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ..
زجر الكلبان الآخرين في وحشية ، وأخذوا يفلان بصريهما
ما بين (أدهم) ، الذي وقف يبادلها النظرات في تحد
ورقبتهما المجدل أمامهما ، ثم أطلق الكلبان المدربان عواء
واحدا امتزج بعضه بعض ، واندفعا فجأة ، وفي اتجاهين
متضادين نحو (أدهم) ، ولفزا إليه في وحشية ..

امتزج عواء الكلبين وزجرتهما ، بتلك الصرخة القتالية
القوية ، التي البعثت من فم (أدهم) ، والتي هوى بعدها
بحافة راحته اليمنى ، على مؤخرة عنق أحد الكلبين ، في نفس
اللحظة التي اندفعت فيها قبضته اليسرى إلى أنف الكلب
التالي ..

سقط الكلب الأول صريعا ، دون أن تدبر منه إلا حشرة
مكتومة ، غل حين أطلق الثاني عواء عاليا شديدا ، وتراجع في
ذعر ، وهو يحدق بعينه المستديرين في وجه (أدهم) ، ثم لم
يلت أن أطلق لفوائمه العنان ، وهو يلوى ذنبه بين قائميه
الخلفيتين .. فابسم (أدهم) في ظفر ، واتجه إلى (أندريه)
فانالا :

— هيا نواصل طريقنا أيها الوغد

ولكن شيئا ما في نظرات (أندريه) أوقفه ..

رعب شديد في عنق هذا الأخير ، آثار قلق (أدهم) ..
كان (أندريه) يوجه هذه النظرات إلى نقطة ما خلف
(أدهم) ..

واستدار (أدهم) إلى حيث ينظر (أندريه) ، وفي لحظة
استدارته ، سمع صوتا يقول :

— لو لم أشاهد ما حدث بنفسى ما صدقت حرفا واحدا
منه ..

كان الصوت مألوفا ، وكذلك كان الوجه ..

لقد كان الرفيق (باكوف) ، وإلى جواره زميله
(إيفانوف) ، وجولهما عدد هائل من الجنود السوفيت

لقد كانت نهاية طريق الفرار ..

نهاية طريق الموت ..

نفت (ياكوف) ذخان سيجارته في ثوبه واضح ، وتبادل
 نظرة غامضة مع زميله (إيفانوف) ، ثم نظر نظرة باردة طويلة إلى
 (أدهم) و (أندريه) ، اللذين وقف أحدهما واقفاً ذراعيه
 وسط ذلك العدد الهائل من الجنود ، على حين توسد الآخر
 الأخرى صاحب الوجه ، يرتجف ، وهو يمسك كاحله اللينوي ،
 ويتأوه في مزيج من الألم والرعب ..

نظر (ياكوف) في عيني (أدهم) مباشرة ، وقال في
 عصبية :

— ممّ صنعتك المحامرات المصيرية أيها الشيطان ؟

اسم (أدهم) ، وقال :

— الله (سبحانه وتعالى) هو الذي خلقني ، ووهبني كل

ما أملك أيها الرفيق

تطلع إليه (ياكوف) في شرود ، ثم مطأ شفتيه ، وقال :

— هل تعلم كم كبدتنا من خسائر ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

— ثلاث طائرات مقاتلة حديثة ، وهليكوبتر

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال في غضب :

— أضيف إلى ذلك (دسنة ونصف دسنة) من جنود

أفقدتهم الوعى ، ومدفعين رشاشين ، وكومة من الذخيرة

اسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— هل تحب أن أدفع ثمنها جميعاً ؟

سيطر (ياكوف) على أعصابه ، وهو يقول :

— من العجيب أنك تمتلك القدرة على المرح في أحلك

الظروف

ثم القرب من (أدهم) ، حتى كاد وجههما يتلامسان ،

وحذق في عييه مباشرة ، وهو يسأله في عصبية :

— كيف يمكنك فعل كل هذا ؟ كيف يمكنك الإفلات

من كل هذه المواقف المعقدة ؟

هز (أدهم) كتفيه في لا مبالاة ، وقال في بساطة :

— لا يوجد موقف بالغ التعقيد يا عزيزي ، كل المواقف

تحمى لغرة واحدة على الأقل .. وكل ما أفعله هو كشف هذه

التغرة واستغلالها .

عظم (ياكوف) في حق :

— هكذا ؟

ثم استدار في الفعال ، وهو يستطرد :

— لست أدري كيف أمكنت الإفلات من الفحصار
المليوكوبتر .. ولكنني أرفض منطلق هذا عن وجود ثغرة في أي
موقف .

ثم عاد بلفتت إليه ، صائحًا :

— الموقف الذي تفقه الآن ، لا يحوى ثغرة واحدة .

أطلق (أدهم) ضحكة تكلمية ، مديرة للأعصاب ،

وقال :

— هذا ما نظنه ، يا عزيزي الرفيق الجنرال .

عقد (ياكوف) حاجبيه في غضب ، وقال :

— أنت تدعى وجود ثغرة هنا إذن ..

ثم أطلق ضحكة عصيبة ، وأردف :

— يقطن القنصل لمعرفتها أيها الشيطان .. فرجالي يحيطون

بك ، كما يحيط الثعبان الضخم بفريسته ، قبل أن يعتصرها ،
ويحطم ضلوعها .

ازدادت اصامة (أدهم) سخرية ، وهو يقول في هدوء :

— هذه هي الثغرة يا عزيزي .

بدت الدهشة على وجه (ياكوف) ، وقال في عصبية :

— ماذا تعني ؟

صاح (إيفانوف) ، وهو ينظر إلى (أدهم) في شك :

— حذار أيها الرفيق الجنرال ، إنه يتلاعب بك .

استدار إليه (ياكوف) في حدة ، وصاح في غضب :

— اصمت يا (إيفانوف) .

ثم عاد يستدير إلى (أدهم) ، ويسأله في عصبية زائدة :

— هيا أيها الشيطان المصري ، أخبرني بما تعنيه .

اجسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

— على الرغم من ضخامة الثعبان ، وشراسه ، إلا أنه كائن

ضعيف .. يكفى تحطيم رأسه لشل عضلاته كلها دفعة واحدة .

ظهرت الخيرة ، مقترنة بالغضب في وجه (ياكوف) ،

وهو يقول :

— ماذا يعنيه حديثك هذا ؟

ولحاة .. وفي أقل من نصف الثانية .. فلفز (أدهم) نحو

(ياكوف) ، واحتفظ مسدسه من جيب معطفه ، ثم أحاط

عنقه بذراعه ، وأصق المسدس بحينه ، وقال في سخرية :

— هذا هو ما يعنيه حديثي يا عزيزي الرفيق .

* * *

تسمر الجنود جميعهم في مواضعهم ، وتصلبت أصابعهم على
أرتاد مدافعهم الرشاشة ، وظهر مزيج من الحيرة والقلق في
ملامحهم ، على حين جمحت عينا (ياكوف) ، من ضغط ذراع
(أدهم) القوية ، وصاح (إيفانوف) في غضب :
— دغمة أو تطلق النار عليك أيها المصري .

أجابته (أدهم) في سخريه ، وهو يجذب (ياكوف) من
عقه ، إلى نقطة آمنة :

— حاول ، وستفعل رئيسك المباشر أيها الرفيق
(إيفانوف) .. وأراهنك أنك ستقتضي نصف عمرك في
تحقيقات إدارية بهذا الشأن .

عقد (إيفانوف) حاجبيه ، وقال في جدية :

— بل ربما أنال وسامًا ، لمنعي جاسوسًا من الحرب .

صاح (ياكوف) بصوت مختلج :

— صة يا (إيفانوف) .. الفعل ما يظلمه ذلك الشيطان ،

وستجد فرصة أخرى للإيقاع به بعد ذلك ..

ظل (إيفانوف) عاقدًا حاجبيه ، وتصارعت في رأسه أفكار

شتى ..

إنه لا يدري كيف سيكون شعور المسئولين ، لو أنه تسبب في
مقتل رجل له وزنه في الحرب الحاقم ، مثل الرفيق (ياكوف) ..
حاول أن يزن الأمر ، بمقارنة مصرع (ياكوف) بالقتل
على (أدهم) ، ولكن ذهبه المتضلع المشوش ، عجز عن اتخاذ
قرار حكيم ..

ولم يمدحه (أدهم) الفرصة ، بل عاد يصف بالروسية :

— ألقوا سلاحكم أيها الجنود ، حتى لا تكسحوا بمسئولين
عن مصرع زعيمكم وقائدكم .

تردد الجنود لحظة ، في انتظار أوامر (إيفانوف) .. ولكنه
بدأ أشد حيرة منهم ، حتى ارتفع صوت (ياكوف) ، الذي بدأ
يشعر بحاجته للهواء :

— أطيعوه يارفاق .. أطيعوه بحق الشيطان

خلص هذا الأمر المباشر الجنود من حيرتهم ، فألقوا
أسلحتهم ، وكانوا يلقون معها عبء الاختيار ..

مائة جندي استسلموا لرجل واحد ..

رجل حطم رأس الثعبان ..

لمت نبرات صوت (أدهم) عن ارتياحه لما آل إليه الأمر .

وهو يقول في فجة أمرة صارمة :

— أريد سياراً ، وسائقاً ماهراً .

انفصل أحد الحشود عن رفاقه ، وأسرع إلى سيارته
(ياكوف) ، فأدار محركها ، وتحركت بها نحو (أدهم) ، الذي
قال في صرامة مثاقلة :

— انقلوا الرجل ذا الكاجل الملتوى إلى السيارة .

أسرع جنديان يفتلان (أندويه) إلى السيارة ، ثم جذب
(أدهم) (ياكوف) من عنقه ، وجلس إلى جواره في المقعد
الخلفي ، ثم صاح بصوت يسمعه الجميع :

— انطلق إلى الحدود الفنلندية مباشرة أيها السائق .

انطلق السائق بالسيارة ، ولم يكذب يتعد حتى خفف
(أدهم) ضغط ذراعه عن عنق (ياكوف) ، الذي شهق في
قوة ، وأخذ يذلل عنقه في ألم ، وهو يقول في صوت متحشرج :

— هل تظن عبور الحدود السوفيتية الفنلندية أمراً هيناً أيها
الشیطان ؟ .. لقد أخطأت هذه المرة ، فقد سمعتك الجميع تأمر
السائق بالانطلاق إلى هناك ، وستجد كل الطرق مسدودة في
وجهك بعد لحظات قصار .

اتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— هل تظن ذلك أيها الرفيق ؟

قال (ياكوف) في حق :

— لست أظنه .. أنا متأكد من كل كلمة نطقت بها
ازدادت ابصامة (أدهم) سخرية ، واستدار إلى السائق
قائلاً :

— فيف أيها السائق .

أوقف السائق السيارة بحركة حادة ، جعلت الجميع يندفعون
إلى الأمام ، ثم ألصق (أدهم) فوهة مسدس (ياكوف)
بجانبه ، وقال في صرامة :

— إنها نهاية الرحلة بالنسبة لك أيها الرفيق (ياكوف) .

شحب وجه (ياكوف) ، وقال :

— هل سقتني ؟

اتسم (أدهم) وهو يقول في هدوء :

— لم أعتد قتل الشجعان العاقرة أيها الرفيق .. إنني أطلب
منك المربوط فحسب .

تطلع إليه (ياكوف) في دهشة ، ثم أسرع يعادر السيارة ،
وتبعه السائق بعد أن أمره (أدهم) بذلك .. وهنا احتل
(أدهم) مقعد القيادة ، وقال وهو يدير محرك السيارة :

— إلى اللقاء في (فنلندا) أيها الرفيق (ياكوف) .

قال (ياكوف) في غضب :

— لن نطأها قدمناك أبدا أيها الشيطان .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، ثم انطلق بالسيارة ،
فأسرع (ياكوف) يتزحج جهاز الإرسال الصغير من جيب
معتقه ، وصاح في انفعال :

— الجاسوس ينطلق نحو الحدود الفنلندية .. سُدوا كل
الطرق .. أطلقوا النار فور رؤيته .. هل تفهمون ؟ .. أطلقوا
النار فور رؤيته .



١٣ — المرحلة الأخيرة ..

صاح (أندريه) في حلق ، وهو يجلس إلى جوار (أدهم) ،
في سيارة (ياكوف) :

— أكان من الضروري أن تشرح للجميع وجهتنا ؟ .. إنك
بذلك تخلق لنا آلاف المشاكل ، في الطريق الطويل ، من هنا إلى
(فنلندا) .

ضحك (أدهم) في سخرية ، وقال :

— ومن قال إننا سنذهب إلى (فنلندا) أيها الوغد ؟

اتسعت عينا (أندريه) في دهول ، وقال :

— ماذا تعني ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

— أعني أن أنظار السوفيت جميعاً ستذهب إلى (فنلندا) .

علل حين لن نتخذ نحن هذا الطريق أبدا .

صاح (أندريه) في ذعر :

— إلى أين نذهب ؟

قال (ياكوف) في غضب :

— لن نطأها قدمناك أبدا أيها الشيطان .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، ثم انطلق بالسيارة ،
فأسرع (ياكوف) يتزحج جهاز الإرسال الصغير من جيب
معطفه ، وصاح في الضحك :

— الجاسوس ينطلق نحو الحدود الفنلندية .. سُدوا كل
الطرق .. أطلقوا النار فور رؤيته .. هل تفهمون ؟ .. أطلقوا
النار فور رؤيته .



٩٠

١٣ — المرحلة الأخيرة ..

صاح (أندريه) في حق ، وهو يجلس إلى جوار (أدهم) ،
في سيارة (ياكوف) :

— أكان من الضروري أن تشرح للجميع وجهتنا ؟ .. إنك
بذلك تخلق لنا آلاف المشاكل ، في الطريق الطويل ، من هنا إلى
(فنلندا) .

ضحك (أدهم) في سخرية ، وقال :

— ومن قال إننا سنذهب إلى (فنلندا) أيها الوغد ؟

اتسعت عينا (أندريه) في دهول ، وقال :

— ماذا تعني ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

— أعني أن أنظار السوفيت جميعاً ستذهب إلى (فنلندا) .

علل حين لن نتخذ نحن هذا الطريق أبدا .

صاح (أندريه) في ذعر :

— إلى أين نذهب ؟

الحرف (أدهم) فجأة في طريق جاني ، وقال في هدوء
عجيب :

— إلى (موسكو) أيها الوغد .

ظل الدهول مرسماً على ملامح (أندريه) بأقصى صورة ،
حتى غيرت السيارة مدخل (موسكو) ، وحطفت (أدهم)
من سرعتها ، وهو يعبر طرقات المدينة الحمراء ، وهنا هتف
(أندريه) :

— ألا تخشى أن يوقفونا ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

— ربما فعلوا .. ولكن هذه وسيلتنا الوحيدة للوصول إلى
هدفنا ، خاصة بكاملت المتوى هذا :

بدأت من بعيد دورية سوفيتية ، توقفت السيارات ، للاطلاع
على أوراق (أكسيا ، فارتخف (أندريه) ، وهو يقول في توثر :
— لقد أوقفوا بنا .

الحرف (أدهم) فجأة في طريق جاني ، وأوقف السيارة ،
ثم هبط منها ، وأسرع يعاون (أندريه) على الهبوط ، ثم حمله من
تحت (نظيه) ، وأسرع يتحرك إلى نهاية الطريق .. وشعر

(أندريه) بالآلام مُترحة في ساقه ، ولكنه أطلق شفطه ، ولم ينس
بكلمة واحدة ..

بدأ الطريق طويلاً ، ولما يقطعانه وسط المازة ، كما لو أن
أحدهما جندى أصيب بجرح ما ، والآخر يعاونه على السير ،
حتى أقرب نقطة إسعاف ..

ساعدتهما زبهما ، والألم الواضح في ملامح (أندريه) ، على
الأبوقفهما أحد ، حتى وصل إلى شارع واسع .. تنهد
(أدهم) في ارتياح ، وشملت وجهه انسامة رائعة ، وهو يقول
في صوت متهدج متعلل :

— يبدو أننا نجحنا أيها الوغد .

رفع (أندريه) عينيه إلى حيث ينظر (أدهم) ، وارتجف
قلبه ارتجافة قوية ، وهو يخلق في العلم الذي يرفرف ويخفق في
قوة ، فوق مبنى أبيض يعوسط الشارع ..

كان علم مصر

بعثت رؤية السفارة المصرية حينها من القوة في نفس
(أدهم) ، فأسرع الخطا نحوها ، حتى أصبح على قيد خطوة
واحدة منها ، وهنا سمع صوتاً صارخاً من خلفه يقول في خشونة :
— أوراڤكما أيها الرفيقان .

استدار (أدهم) في هدوء ، فطالعه وجه ضابط سوفيتي ،
يقف خلفه جنديان مسلحان ..

مضت فترة من الصمت ، و (أدهم) يتبادل النظرات مع
الضابط السوفيتي ، حتى قال هذا الأخير في صرامة :-

— ألم تسمعني أيها الرفيق الجندى ؟ .. إنني أطلب
أوراقك ، وأوراق زميلك .
كاد (أندريه) يسقط من فرط رعبه ..



لقد فشلت خطة الهروب على بعد خطوات .. بل خطوة
واحدة من السفارة المصرية ، ولكن (أدهم) لم يرتجف .. بل
أجاب في هدوء :

— لقد سرقت أوراقنا أيها الرفيق الضابط .

سأله الضابط في دهشة :

— سرقت ١٢ .. إن ما تقوله يعرضك لعقوبة شديدة أيها

الرفيق الجندى .. إن ضياع الأوراق العسكرية جريمة خطيرة

أشار (أدهم) إلى بوابة السفارة المصرية ، وقال :

— لقد سرقتها أحد العاملين هنا ، وأصحاب زميل في كاحله ،

وكنا بصدد اللحاق به عندما ..

قاطعته الضابط السوفيتي في غضب :

— أحد العاملين هنا ؟ ويل لهم !!

تم تحرك في خطوات سريعة إلى فناء السفارة ، وخلق به

(أدهم) وهو يحمل (أندريه) ، وخلفهما الجنديان المسلحان ..

ولم يكف هذا الفريق بتوسط فناء السفارة المصرية ، حتى اصم

(أدهم) ، وقال في سخرية ، وبلمحة تتم عن ارتياحه :

— مهلاً أيها الرفيق الضابط .. لا سلطة لك في هذا الفناء ..

إنه أرض مصرية خالصة ، طبقاً لكل الاتفاقيات الدولية (*) .

(*) بين القانون الدولي على أن الأرض المنوطة لسفارة أي دولة ،

في دولة أخرى تعد أرضاً تابعة لسفارة الدولة المستضيفة ، ولا سلطان فيها

للدولة المضيفة .

تطلع الضابط إليه في دهشة ، وقال في غضب :

— ماذا تقول أيها الجندي ؟

قال (أدهم) في صرامة :

— لست جدياً أيها الرفيق الضابط .. أنا مواطن مصري ،
والف الآن على أرض تابعة لدولتي ، ولن يمكنك اعتقالي ، حتى
بضمة ارتداء زي عسكري .

احتقن وجه الضابط السوفيتي ، وفتح فمه ليطبق عبارة
ساخطة ، ولكنه عاد يطبق شفاهه ، وكأنه لا يريد تناجيه أن
يشهدا مزيداً من السخرية منه ، وظل يحدق في وجه (أدهم)
طويلاً ثم أشار إلى الجنديين ، وقال في حنق :

— هيا بنا يا رفاق .. اتركا الرجلين يحملن مشكلتهما
بتسيما .

وغامر السفارة في خطوات سريعة عنقفة ، تابعه اصمامة
(أدهم) ، التي تبيض ظفراً وسحرية ..

كان يوضع قدميه داخل السفارة المصرية ، قد وقع وثيقة
النساره هذه المرة ، وأضاف نصراً جديداً إلى ملف
(رجل الاستحيل) ..

١٤ — ختام الجزء الثاني ..

جلس (قدرى) البدين في حجرته شارقاً ، يداعب قطعة
غير متناسقة من الصلب ، كان يعدّ منها نخفة فريدة من نخفة
المزورة ، التي يملأها حقالب رجال المخابرات المصرية ، والتي
كثيراً ما تعاونهم في مهام شديدة الصعوبة ، عندما اتضح المقدم
(حازم عبد الله) حجرته ، وصاح به في مرح :

— كيف حالك أيها البدين ؟ .. ماذا أصابك في الآونة
الأخيرة ؟ .. إنك تلتفت الكثير من وزنك كل يوم .

رفع (قدرى) إليه عينين دامعين ، وقال :

— لا يمكنني أن أنسى (أدهم) يا (حازم) .. لقد كان لي
نعم الرفيق ، وخير صديق .

هف (حازم) في مرح :

— هذا ما أتيت إليك بشأنه يا صديقي البدين .. لقد
وصلت الآن برقية بالشفرة إلى مكتب المدير ، من سفارتنا في
(موسكو) .. نحن أي توقيع تحمل ؟

استعت عينا (قدرى) ، وتصلبت أطرافه ، وارتعدت
شفتاه ، وبهذج صوته وهو يقول فى انفعال :

— هل .. هل تقصد ؟

صاح (حازم) فى سعادة :

— إنه هو يا رجل .. إنه (أدهم صوى) .

ظَلَّ (قدرى) يحدق فى وجه (حازم) ، وكأنه لا يصدق
ما يسمعه .. ثم أجهش فجأة بالبكاء ، وتوقف عنه بغتة أيضا ،
وهو يسأل (حازم) فى انفعال :

— أين البرقية ؟

أجاب (حازم) فى عاطفة :

— فى مكتب المدير و ...

لم يكذب يطفى بنصف العبارة ، حتى اندفع (قدرى) برشاقة
لائساب حجمة الضخم ، وأسرع يتنحى مكتب مدير
الخطارات ، الذى التفت إليه فى دهشة ، فلعثم (قدرى) ،
وارتبك ، وقال :

— معذرة يا سيدي .. لقد .. لقد

فهم مدير الخطارات الأمر فى سرعة ، فابصم وقال :

— نلقم يا (قدرى) .. هاك برقية (أدهم) .

عادت الدموع تسال فى هدوء ، من عيني (قدرى) ،
وهو يلفظ البرقية فى لفتة ويقرؤها فى استغراق ، ثم رفع عينيه
الدامعتين إلى مدير الخطارات ، ولحغم فى صوت متحرج :

— إذن فقد لحا .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

حرك مدير الخطارات كتفه ، على نحو يوحى بسعادته ، وقال :

— هذا الشاب رائع .. إنه يقول فى برقيته إن لديه معلومات
مؤكدة ، عن نجاة (منى) أيضا ، ولكنه لم يلق بها بعد .

قال (قدرى) فى ثقة :

— لن يعود إلا بها يا سيدي .

أوما مدير الخطارات برأسه موافقا ، وقال وهو يحط شفتيه :

— هذا ما توقعناه جميعا .

ثم أوقف بعد لحظة من الصمت :

— لقد فكرنا فى البداية فى مطالبته بالعودة ، ولكننا رأينا أنه
سيخالف أوامرنا لو فعلنا ، ما دام لم يستعد زميلته بعد ، لذا فقد
تركنا له حرية التصرف .

ابصم (قدرى) فى سعادة ، وهو يقول :

— حسنا فعلم يا سيدي .

هز مدير الخطارات كتفيه ، وقال مبسما :

— هذا هو الأسلوب الوحيد للتعامل مع (رجل المستحيل)
يا (قُدري) .

جلس (أدهم) شاذًا ، يتطلع من خلف نافذة مكتب
السفير المصري ، إلى مدينة (موسكو) ، حتى أنه لم يشعر
بالقرب السفير ، إلا عندما قال في هدوء :
— لقد رحل (أندريه) إلى القاهرة ، بصحبة الملحق
العسكري هنا ، ويجوز سفر مصري دبلوماسي ، حتى لا يعترضه
السوفيت .

غمغم (أدهم) :

— لقد نال هذا الحظير أكثر مما يستحق .

مطّ السفير شففيه ، وقال :

— لقد تحمّلت أنت من أجله الكثير من مناعب السوفيت و...

قاطعه (أدهم) في هدوء :

— إنني لا أحتقد على السوفيت يا سيدي ، لقد كانوا يزدون
واجبهم نحو وطنهم ، وهذا يزيد من إعجابي بهم .. فلو أن الأمور
انعكست ، لفعلياً ما هو أكثر من ذلك في مصر ، ضد أي جنابوس
أجنبي .. وحدقتي إنني أشعر بالاشتهاء لما سئته شم من قلبي .

ضحك السفير ، وهو يقول :

— قللي ١٢ .. بل قل مرارة يا صديقي .

غمغم (أدهم) دون أن يتسم :

— هذا يزيد من أسفى يا سيدي السفير .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم غمغم السفير :

— أما زلت مصرًا على عدم العودة إلى القاهرة ؟

أجابته (أدهم) في هدوء :

— ليس قبل أن أتعهد (عني) يا سيدي .

ثم سرح بصره في سماء (موسكو) ، وهو يردف :

— إنها ليست مجرد زميلة يا سيدي السفير ، إنها تحلّ في

حياتي مكانًا خاصًا متميزًا

أومأ السفير برأسه ، وقال في هدوء :

— أعلم ذلك أنها العقيد .

ثم أردف في اهتمام :

— ولكن ما من دليل واحد لدينا ، على وجودها في

(موسكو) ، أو على استمرار بقائها على قيد الحياة .

أشار (أدهم) إلى (موسكو) غير النافذة الزجاجية ،

وقال :

— قلبى بحدثنى أنها هنا يا سيدي ، وسأبعه هذه المرة
تطلع إليه السفر في إعجاب ، وهمس :

ش أنت رجل رابع يا (أدهم) .

ابسم (أدهم) في هدوء ، وقال في حرارة :

— بل قل مصر هي الرائعة يا سيدي .. ولا تنس أن كل
ما سبق في أذهان السوفيت ، هو أن الرجل الوحيد ، الذي
نجح في الفرار من معتقلهم الأسطوري كان مصريًا .. وأن الوحيد
الذي نجح في اجتياز قضبانهم الجليدية ، كان يحمل اسم مصر .

| انتهى الجزء الثاني |

رغم الإبداع : ٣٦١٩

صدر من هذه السلسلة :

رجل المستحيل

- | | |
|------------------------|-----------------------|
| ١ — الاحتضار العاصف | ٢ — سباق الثور |
| ٣ — قناع الخطر | ٤ — صائد الجوارس |
| ٥ — الجليد الدامس | ٦ — قبال الذئاب |
| ٧ — برهيق المار | ٨ — غريم الشيطان |
| ٩ — أبواب العنان | ١٠ — نال المتعمنون |
| ١١ — المؤامرة الخفية | ١٢ — حلقاء الشمر |
| ١٣ — أرض الأكوال | ١٤ — عملية موت كارلوس |
| ١٥ — إمبراطورية السم | ١٦ — الخدمعة الأخيرة |
| ١٧ — انقسام المغرب | ١٨ — قاهر العمالقبة |
| ١٩ — أبواب المحيم | ٢٠ — لعيل الطسوج |
| ٢١ — مضيق السوان | ٢٢ — أصابع الدمار |
| ٢٣ — فارس التزلزل | ٢٤ — الضاب القاتل |
| ٢٥ — المحجر السلتي | ٢٦ — آخر الجبابرة |
| ٢٧ — الجوهريرة السوداء | ٢٨ — قلب العاصفة |
| ٢٩ — الصراع الشيطاني | ٣٠ — الرمال المحرقة |
| ٣١ — الحظوة الأروسي | ٣٢ — حيط اللهب |
| ٣٣ — القسوة (أ) | ٣٤ — مارد العصب |
| ٣٥ — قرصنة الحور | ٣٦ — ذئب الأحمرش |
| ٣٧ — مخلب الشيطان | ٣٨ — لعبة تغمرفين |
| ٣٩ — أعماق الخطر | ٤٠ — مهتس القليل |
| ٤١ — الانتحارانسون | ٤٢ — الهدف القاتل |
| ٤٣ — الخاطـر | ٤٤ — العين الثالثة |
| ٤٥ — القطعان الجليدية | |